

من وحي حرب الخليج

اغتيال حلم

بقلم
محمود منسي



دار الكتب
الحديث

من وحي حرب الخليج

اغتيال حلم

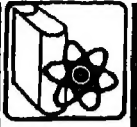
بقلم

محمود منسى

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

دار الكتاب الحديث



دار الكتاب الحديث

القاهرة:

٩٤ عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ص. ب ٧٥٧٩ البريدي ١١٧٦٢ email: kdh@eis. com.eg

هاتف ٢٨٥٢٩٩٣ - ٢٧٥٢٩٩٠ (٠٠٢٠٢) فاكس: ٢٧٥٢٩٩٢ (٠٠٢٠٢)

الكويت:

شارع الهلالي - برج الصديق

ص. ب ٢٢٧٥٤ - ١٣٠٨٨ الصفاة email: ktbhades@ncc. com.kw

هاتف ٢٤٦٠٦٣٧ - ٢٤٦٠٦٣٤ (٠٠٩٦٥) فاكس: ٢٤٦٠٦٢٨ (٠٠٩٦٥)

الجزائر:

تجزئة «ع» رقم 34 - درارية

ص. ب 61 درارية - محافظة الجزائر

هاتف وفاكس: 55 - 30 - 35 (002132)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

تقديم:

إن من يملكون السلاح مغترون دائماً بقوتهم، والمغتر بقوته يتحول
إلى كائن عدواني أشبه ما يكون بمن يملك الظفر والنَّاب في الغابة!!

واستمرار هذا الغرور بالتفوق يفقده الإحساس بأي قيمة، ولا يبالي
بمشاعر الآخرين أو عواطفهم أو مآسيهم؛ ويتصرف كأنه مالك الكون
وحده لا شريك له!!

وهذه مصيبة الإنسان منذ أن وجد على ظهر هذه الأرض.. . أن
يفعل المستحيل ليتحول إلى كائن مفترس!!

«المؤلف»

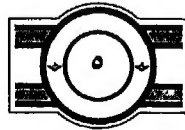
الطائرة تمتطي ظهر السحاب... لأول مرة يركب الطائرة فيرى السحاب تحته .
هل يصدق أحد هذا؟... كم من منجزات معجزة دجنها التعامل اليومي فأصبحنا لا
نفكر إلا فيما نفيه منها!!

لولا الطائرة هل كان من الممكن أن نصل إلى أرض الكويت في هذا الزمن
القياسي، إنه بساط الريح الذي تخيله القدماء ولكننا نركب الطائرة ولا نفكر في عظمة
هذا الإنجاز، فقد تعودناه!!

لقد مضت الساعات الثلاثة إلا دقائق، ولا شيء يلوح في الأفق... كان هذا
صوت زميله الذي يجلس بجواره وجمعتهم نفس الظروف... متعاقدان للعمل
بالتدريس في حقل التربية بوزارة التربية في دولة الكويت..

وقف في الصباح ينظر من نافذة الغرفة يتأمل ما حوله... هل من المعقول أن
تتحول الرمال إلى هذه الخضرة، وأن يقوم في وسطها هذا الصرح العلمي الباذخ؟!
خرج من غرفته بملابس النوم لم يطق الإنتظار... يريد أن يرى هذا العالم الذي ظهر له
فجأة... دخل المبنى ليلا لم ير اللافتة المكتوبة... إنه "سكن المدرسين العزّاب" الذين
لم يتزوجوا أو الذين تركوا أسرهم، وجاءوا لأول عام... إذن فهناك مساكن للمتزوجين
في نفس المكان!

وهذا سور على مدى البصر... لا شك أنه يحدد حرم المدرسة... ولكن إلى
أين يذهب ويمتد فليترك ذلك إلى ما بعد الإفطار إذ يبدو أنه لا نهاية له...
لفت نظره مبنى مقابل... عبر الطريق وذهب إلى مدخله قرأ لافتة أخرى...



"نادي الطلاب" .. أي ناد هذا؟ شيء جديد غير مألوف .. هل يترك الطلاب بيوتهم
ويأتون إلى هذا النادي؟!

حول النادي ملاعب متناثرة للتنس، وكرة القدم ..

وفى الطريق إلى مطعم المدرسة رأى صفوفًا من المباني الكبيرة المتشابهة .. أنيقة
على هيئة مستطيل .. لا تزيد عن ثلاثة طوابق .. عرف أنها بيوت طلاب الداخلية الذين
تتكفل بهم الدولة .. وكل من يرغب يقبل طلبه .. دون النظر إلى أي شيء آخر فكلهم
طلاب وأبناء البلد ..

الأسئلة كثيرة من القافلة الجديدة والإجابات تمتصها من السابقين في السكن
وعلى موائد المطعم، وفي غرف المدرسين .. مساحة المدرسة بمرفقها أكثر من خمسمائة
فدان ..

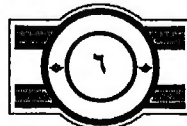
شهقة تعقب الإجابة .. لم يسمع أحد من قبل عن مدرسة بهذه المساحة .. ولا
عن مبنى بهذه الأناقة والبساطة .. داخل الوطن العربي أو خارجه!!

ناديان للأساتذة وآخر للطلبة .. مستشفى .. مساكن تستوعب جميع المدرسين
عبارة عن فلل متناثرة تحيط بمبنى "مدرسة الشويخ الثانوية" من الشرق .. ومساكن
الطلبة المقيمين في الغرب ..

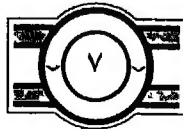
ويقول حامد الجوهري بلهجة أمه الدمياطية وبطريقتهم، رغم أن والده خليجي:

- اسمع يا حبيبي وبلغ كل الزملاء: لك ثلاث وجبات في المطعم يوميًا ..
شهر .. أو أكثر أو أقل .. حتى يتم الاتفاق مع متعهد "الكانتين" الخاص بسكن
المدرسين .. مقابل مبالغ زهيدة تخصم من الراتب ..

ويجيبه محمود المنزلاوي باسمًا:



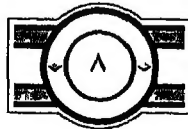
- حسبتها يا دمياطي!!
- نصف دمياطي.. لا تنس أن أبي من "دبي" علي سن ورمح كما تقولون!
- ثم يتابع:
- و"باص" خاص يأخذك من هنا إلى العاصمة يوميا لتشتري طلباتك في المساء، ويعود بك... ومدينة الكويت على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريبا.
- شئ جميل يا حامد.. من أين تأتي بكل هذا؟
- ويقول حامد ضاحكا:
- ألم تقلها قبل ذلك.. أنني نصف دمياطي والدمايطة رجال اقتصاد ناجحين؛ لأنهم يترجمون أحلام الناس بطريقة عملية.. ولا يخرجون من ذكر الحقائق المادية واضحة.. و"دبي" ستكون مثل دمياط.. بعد اكتشاف النفط.
- براءة ياعم.. وماذا أيضا؟
- لك أن تشتري ما تشاء من أي محل.. ولو لم يكن معك "مليم أحمر" حتي أول الشهر أو آخر العام القادم أو أكثر.. فهم لا يطالبونك حتى تذهب إليهم طواعية.
- شئ عجيب حقا.
- ويتدخل زميل قديم سبقهما لسنوات فيقول موضحا:
- إنهم يفترضون في جميع الناس الأمانة والشرف، وهذا نابع من طبيعتهم.. إنها كلمة الشرف التي أخذها عنا الغرب ووصلت إليه عبر مسارب الزمن الخفية "بارول دونير" وجعلها أساسا لمعاملاته.



- ما أروع أن يكون لنا أجداد بهذه الصورة!
- وما أسوأ نحن أن نكون على هذا الوضع وننسى تاريخنا!
- لا تحولها مناحة.. أيها الشاعر نصف الدمياطي!!
- عندك حق.. الضرب في الميت حرام!!
- أهناك أخبار أخرى؟
- يضحك حامد الجوهري:
- ما أشبه ماتقول بتقارير الشرطة والنيابة.
- لا تسبح بعيدا أيها الشاعر..
- انني هنا لا أسبح بعيدا.. ألا يشبه ماتقول بما يقوله الضابط أو وكيل النيابة:
- هل لديك أقوال أخرى؟، على كل حال هناك مؤتمر بالمدرسة سيقمهم الطلبة ورجال التعليم من كويتيين ووافدين وخليجيين لتكريم المجاهدة الجزائرية.. رمز كفاح شعب الجزائر، وسيحضره كبار رجال الدولة.. إنها "جميلة بوحيرد".
- يبدو أن هنا إحساس دافق بقضايا الوطن العربي، آلامه و أحلامه!!
- يبدو هذا..

ويعود الزميل القديم إلي الحديث:

- لو كنتم هنا أيام أن تمزقت الوحدة بين مصر وسوريا لرأيتم الأعاجيب..
- اندلعت المظاهرات في جميع المدارس وشاركتهم جميع طوائف الشعب حزنا ورفضاً لما حدث ومناشدة للمسؤولين بالعودة إلي الوحدة، ورابطوا أمام السفارات تعبيرا عن



حزبهم وشحبهم لما حدث والوحدة كانت تمثل أملا لدى كل الناس هنا، وكأنا حولهم الانفصال إلى أيتام فقدوا عائلهم ومعينهم، وهم صغار لم يتعودوا خشونة الحياة، ومصارعة ذئابها والطامعين فيهم.. كانت خطب رعيم الوحدة تطربهم أكثر من طربهم لأغاني عبدالوهاب وأم كلثوم، وكانوا يسجلونها ويستعيدونها.. أمل ظهر لهم بعد قرون من التفرق والتشردم يجدد فيهم ذكرى صلاح الدين، بالانتصار لهذه الأرض العربية وتراثها وثقافتها ولغتها العريقة، والوقوف في وجه الغزاة الطامعين الذين وفدوا عليها وانتهكوا قداستها وداسوا كرامتها..

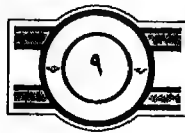
لقد كان حزنهم بالغاً، وأسفهم واضحاً أكثر من المخلصين للوحدة في البلدين مصر وسوريا..

ويسأله محمود المنزلاوي عن سبب مجيء حميلة بو حيرد إلى الكويت بالذات بعد أن تحرر شعب الجزائر، فيبتسم الزميل فيقول:

- إن للكويت مكانة خاصة عند إخوتهم أهل الجزائر، فقد عبروا عن تضامنهم معهم في مواقف كثيرة ولم ييخلوا عليهم بشيء، وكان أهمها استضافتهم لبعثة جزائرية من خيرة شبابها وشاباتهن للإقامة والدراسة بين إخوتهم الكويتيين، فليس بمستغرب أن تزور "جميلة" هذه الأرض من المشرق.. فمن يأخذ بيدك في الشدة لا يمكن أن تنساه في الرخاء.

ويقول حامد الجوهري بعد لحظة صمت وهما في طريقهما للسكن:

- إنني أحس بالاطمئنان هنا رغم أننا لم نمكث سوى فترة قصيرة.. فشعب كهذا يطيب لك العيش معه. لهذا أحببت أن أتعاقد هنا لأمرين: صحبتك يا محمود، والأمر الثاني وهو معرفتي بناس الكويت؛ فأنا خليجي وأعرف أهل الخليج جيداً، وعاشرت طلبة الكويت في مصر..



و يضيف محمود

- لقد سمعت أطرافاً عن هذا وأنا في القاهرة.. لقد قال الزملاء الكثير عن هذا
البلد الفتى.. ولكني لم أدرك عمق إحساسهم بقوميتهم حتى أتيت إلى هنا وسمعت
ورأيت الحقيقة..

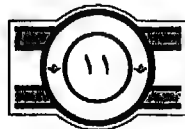


كنا نجلس في الغرفة الواسعة التي لا يفصلها عن مياه الخليج سوى ذلك الشارع الهادئ الذي لا يمر به أحد لا ينتمي إلى هذه المدرسة الفريدة في نظامها وسعتها، والتي تعتبر أعرق مدرسة بنيت على شاطئ الخليج، وبهذه الفخامة، وهذا الإتساع، وكان بناتها قد وضعوا في اعتبارهم أنها ستكون نواة الجامعة المقبلة. . .

ويمتد نظره عبر النافذة أو النوافذ ليسبح في مياه "الجون" الذي كان يحتضنها، ويصلها بعمق الخليج، لم يكن يدري أو يتصور -وهو الذي عاش على ضفاف النيل- أن يلتقي بهذا الجمع من أبناء بردي والأردن ودجلة والفرات ويافا وحيفا وطولكرم ورام الله وعاليه، والخرطوم وتونس والجزائر والمغرب والسودان وغيرهم من أبناء الخليج واليمن. . . ومن لم يكن مدرسا كان يعمل في مهنة أخرى جامعة دول عربية مصغرة حقيقية وعلى أرض الواقع.

كانت الغرفة تقع في الطابق الثاني في أول الضلع المستد من مبنى الإدارة إلى داخل المدرسة، مما يعطيها أهمية أكثر من غرف المدرسين الأخرى، فاللغة العربية عند أهل هذا البلد لها مكانة مرموقة، أليست هي إهاب الشعر. . . موطن حكمة العرب، ومصدر نبوغهم وإلهامهم. . . ولم تتعرض لديهم للانزواء كما تعرضت خارج الجزيرة. . . موضوع طويل عريض لم يرد أن يسبح على أمواجه حتى لا يفلت منه ذلك الشعور الذي هزه من أعماقه. . . وهو أن أبناء البلاد العربية هنا على اختلاف أقطارهم وفيهم أبناء البلد يتناقشون في أمور السياسة بملء حريتهم. . . يتحدثون دون خوف، فلم تفسد حريتهم تلك المقولة "منوع الكلام في السياسة" التي انتشرت في كثير من الأقطار العربية، وخاصة التي ابتليت بالانقلابات. . . ويقطع الحديث الدائر عن الوحاة والانفصال دخول الجوهري الذي يتجه رأسا إلى محمود المنزلوي قائلا:

- دعونا من كل هذا. . . اسمع يا صاحبي هناك خبر هام. . .



فيقول عوبي الفلسطيني ساخرا .

- هل التحم كسر الوحدة من جديد؟!

ولكن محمود المنزللاوي يقول:

- أنا أعرف صاحبي . . لابد أن يكون هناك مشكلة مادية عويصة أو شعرية

ضاق بها!

ويضحك حامد الجوهري ويصمت فيستحثه المنزللاوي بلهفة وهو يتسّم، فيقول

الجوهري:

- ليس هذا وقته . . وعلى كل حال ستأكد من الخبر عندما تأتي الجرائد من

القاهرة

- أي خبر؟! لقد أخفنتي . .

- لا تخف . . فالأمر ليس خاصا بك . . ولكنه يعم الجميع . . وكلها نواحي

مادية . .

- أنت ابن طبيعتك الأصيلة، والدتك لها فضل كبير في هذا . .

يقولها ضاحكا . . وفي المطعم انتشر الخبر . . لقد كان آخر موعد لنزول الجنيه

المصري لايتعدى عشرة أيام . .

ويقول المنزللاوي بلا اكتراث:

- وماذا في ذلك؟ وهل ستحول فلوسك إلى مصر أم إلى دبي؟

وينظر إليه حامد الجوهري بابتسامته المعهودة التي تعبر عن السخرية و الإنكار

قائلا في هدوء:



- سأشك أنك تفهم معنى هذا القرار.. معناه أن أي مواطن مصري موجود بالخارج سوف يحول مدخراته بالعملات الأجنبية، وسوف تحدد سعر هذه العملات. فسيظل سعر الدولار أربعين قرشا وعند وصولك إلى المطار ستكتب إقرارا بما معك من الدولارات، وتحولها هناك بهذا السعر رغم أن سعره قد ارتفع إلى الضعف..

ويتابع حامد:

- معنى هذا أنك تخسر نصف ما تملك.. في ظرف عشرة أيام... إذا لم تحول ما مملك في هذه المدة!!

- إنه الاقتصاد الموجه.

- تمام.. ولكنهم يعطونك فرصة لأن تحول ما تستطيع تحويله.. لقد سمعت أن أحد الزملاء ينوي بيع سيارته ومصاغ زوجته ليحول ثمنها بالسعر السائد الآن وهو ضعف السعر مستقبلا، و أن بعضهم سيقترض من بعض الصيارف مبالغ يسدها على أقساط من راتبه الشهري..

- إنها محاولة للعب على اللوائح والقانون..

و يقول حامد الجوهري وهو يضحك ضحكته التقليدية:

- إنه لعب على سلم القانون..

و يتابع في مرج:

- أشبه بمن يتشعبط على سلم (الترماي) وقت الزحام.. وينزل في أقرب محطة عندما يلمح (الكمساري) ولن يكون كل الناس هكذا، ولن يقلل هذا من دخل (الترماي).

و يقول المنزلاوي باسمًا:

- وأنت لا شك من أهل السلم والدَّرَج طبعًا، فأنت تحتاج إلى فلوس



لوالدتك.. التي لا تريد أن تغادر دمياط وستحقق حلمك بأن تبني لها منزلا بحديقة جميلة تليق بشاعر!!

- ونشعبط على السلم مرة واحدة في العمر!! كما أنهم تركوا لنا هذه الحرية مؤقتا.. لأنها رهونة بمصلحتهم..

كانت سنة عجيبة اقترض فيها المصريون رواتبهم مقدما من شركات الصرافة وترجموا الدنانير إلى جنيهات مصرية. ونزلت ملايين الجنيهات إلى مصر في هذه الأيام العشرة... ويمضي كل شيء ولكن تبقى الصلة بين هذا المجتمع والوافدين عليه.. كانت الكلمة والشرف أساسا للتعامل.. ولم يسمع أحد أن طرفا أخل بالتزامه..

والذي يستدعي الدهشة إحساس التجار بهم... فالأسواق مفتوحة على مصراعيها لهؤلاء الوافدين يتعاملون معهم على الحساب المفتوح.. تدفع هذا العام أو العام القادم أو بعده.. الثقة المتبادلة بين الأطراف موجودة، والالتزام قائم دون صك أو شيك، وكأنك في عالم خيالي لا ينتمي إلى العالم المادي بما فيه من جشع وفساد وتلاعب بهذه الثقة الممنوحة بلا حساب.. وإن وجدت بعض السليبيات فإنها لا تمثل ظاهرة لتؤثر في تلك الصفحة البيضاء الناصعة التي حرصت الأطراف على بقاءها كذلك.. وبقدر ما كانت المحلات مكدسة بأحدث ما أنتجته مصانع الغرب والشرق إلا أن أهل الكويت ظلوا على أصالتهم في المشرق.. فالبضائع متروكة في الطريق دون حراسة تذكر.. ومع هذا لم تحدث سرقة واحدة جديرة بالإنابة.. شيء غريب وعجيب في بابه ولكن يبدو أن الأمانة والثقة في أي شعب أئمن من كنوز الأرض قاطبة..

سلوك حضاري عرفه الشرق من قديم الزمان وآمن به.. وحافظت عليه شعوب.. وإن لم تكن في حساب الأمم المتقدمة تكنولوجيا.. فالحضارة ليست قاصرة على تطوير المادة.. ولكنها شيء كامن في نفس الإنسان يجعلك تطمئن إليه.. وتعامل معه في ثقة

ورضا . . . وكان الطرفين أسرة واحدة . . . فالتقدم التكنولوجي موجود بل أصبح لعبة الأمم وهدفها، ولكن أين الأمان في هذا العالم الخائف المذعور !!

و يدخل عندما رآه فقد كان المطعم شبه خال تقريبا ولم يبق فيه سواه .

يقول حامد متعجبا وهو يجلس في مواجهته:

- لماذا لم تحول ما معك من الدنانير؟ كل إخوانك فعلوا نفس الشيء . . .
بالإضافة إلى أن أحد الزملاء قد تطوع بأن ينزل إلى القاهرة في آخر يوم . . . وبذلك
يستطيع كل من لم تسعفه ظروفه أن يدبر نفسه على هذا الموعد . . .

- ربنا يبعث .

- تريد أن توهمني أنك صرفت كل ما معك؟

و يؤكد له محمود المنزلاوي أنه لا يملك مالا يحوِّله . . . وأمام إصراره يخبره أن
عوني النفيسي زميلهم الفلسطيني قد اقترض منه مبلغ خمسمائة دينار لعلاج أخيه في
مستشفيات إسرائيل .

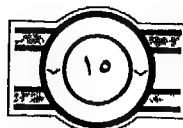
وسأله المنزلاوي بعدها في جدية:

- ماذا كنت تريدني أن أفعل؟ أردته في موقف كهذا؟ ماقيمة المال في موقف
إنساني؟ أم أن دعوى العروبة كلام يقال دون مضمون من التعاون والإيثار والتضحية
أيها الشاعر؟!

ويسأل المنزلاوي:

- ماذا كنت ستفعل إذا وجه إليك هذا الطلب؟

ويضحك ويتابع:



صحيح أنك نصف دمياطي.. ولكنك شاعر!!

وفي المساء وجد المنزلاوي زميله عوني النفيسي يعيد إليه المبلغ شاكراً وقائلاً:

- صدقني إذا قلت لك إن لك مكانة في قلبي أكثر من الأخ الشقيق.. وأن العروبة حقيقة تجري في عروقنا، ولقد جسدت هذه الحقيقة عندما عرفت الظروف، والآن تغيرت الأمور فعدت إليك بالمبلغ.. فشكراً أخي ولن أنسى صنيعك.

ويقول محمود المنزلاوي منكراً:

- وأخوك؟!!

- لا تقلق يا أخي.. وفاك الله.. لقد ذهبت إلى أخ كويتي وشرحت له الموضوع فسارع إلى طلبي، بل حاول أن يعطيني ضعف المبلغ.. زميل قديم وصديق.. وعربي أصيل.. ماقصده في أمر إلا ولبي طلبي.. نموذج طيب للإنسان..

- من هو يا عوني؟! أرجوك لاتزعج بسبيبي، وأرسل المبلغ لأخيك.. أرجوك يا عوني.. دعنا مرة نتحرر من عبودية المادة!!!

- إن ما أقوله لك هو الحقيقة، وإذا كنت لاتصدقني فاسأل فيصل الثنيان.. زميلنا بالمدرسة.

- مدرس التاريخ؟

- نعم.. عشنا هنا جميعاً كأسرة واحدة.. والمادة تذهب ونجيء.. ولكن يبقى الإنسان.. وفي هذه المواقف يظهر معدنه وأصالته!!



كان اسم مدينة "الأحمدي" يتردد على ألسنة الكويتيين وغيرهم داخل الكويت وخارجها، بل وفي أنحاء العالم، فهي معقل صناعة البترول وتصديره.. ولم يكن أحد يتصور أنها بهذه الأناقة والجمال.. طراز معماري فريد، تحيط بكل منزل حديقة واسعة حافلة بشتى أشكال وألوان الزهور النادرة في نسق عجيب مبهر.. حتى بدت المدينة بما يحيط بها من صحراء مترامية، وكأنها ابتسامة على وجه عبوس، أو رهرة في حقل من الأشواك..

ونظرت نحو حامد الجوهري.. فإذا هو يخرج أدواته ليسجل فيها مشاعره وإحساسه بهذا الجمال النائم خلف ستائر الصحراء.

وقال في ابتسامة مشرقة:

- ما هذا الذي أرى؟ أحلم أم حقيقة؟!

- الاثنان معاً.

- ما أروع أن تجتمع الثروة وحب الوطن والديرة..

- إذا أضيف إليهما الإخلاص.. كانت النتيجة ماترى..

وينادي يعقوب الجاسم رئيس المعسكر على الحاضرين ثم يقول:

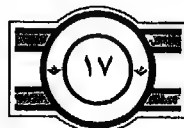
- لم يبق غائباً عن المعسكر حتى الآن سوى نائب الرئيس فيصل الثنيان،

ومدرس العلوم كاظم السامرائي.

ويقول حامد الجوهري مداعباً:

- ربما نسي واتجه إلى «سامراء» بالعراق لزيارة الأسرة وأم الجهال..

ويضحك كل الموجودين، بينما يتابع يعقوب الجاسم:



- وإذا كان السامرائي ضل طريقه وشطح إلى موطنه في العراق كما يدعي الشاعر . . فأين ذهب فيصل فهو إنسان منضبط . . وهو ابن الديرة . . إننا مضطرون إلى تأجيل افتتاح معسكر البيثة حتى يأتي الغائبون . . . وتكون فريق من المدرسين والطلاب ، أخذوا سيارة وانطلقوا عائدين على طريق «الأحمدي-الكويت» لمعرفة سبب الغياب والعودة بنائب رئيس المعسكر . . والسامرائي مدرس العلوم . .

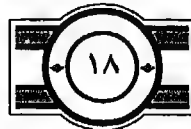
وكانت المفاجأة في انتظارهم ، فقد وجدوا سيارة كاظم السامرائي قد أصيبت إصابات بالغة وملقاة بجانب الطريق ، وعلموا من شهود الحادث أن شخصاً آخر قد نقله إلى سيارته ، وانطلق عائداً به إلى المستشفى الأميري . .

أخذت الأمور تفرض نفسها . . فلم يكن أمامهم إلا الانطلاق إلى المستشفى . .

كانت حالة " كاظم " خطيرة تستدعي نقل كميات من الدم . . ومن حسن الحظ أن فيصل كان من نفس فصيلته النادرة . . فأصر على أن يأخذوا منه كل ما يحتاجه من دماء . . ولكن ماأخذوه لم يكن كافياً . . وألح فيصل على أن يأخذوا منه المزيد لإنقاذ حياته . . ولكن الأطباء رفضوا هذا خوفاً على حياته أيضاً ، ولم يفض الاشتباك بينه وبينهم إلا وصول الأساتذة والطلبة . . فقد وجدوا أن أحد الطلاب له نفس فصيلة دم كاظم . .

وتأجل افتتاح معسكر البيثة يومين كانا يومين حافلين لاينساهما الأطباء أو العاملون في المستشفى ، فقد تحول المستشفى إلى مدرسة . . الناظر والوكلاء والمدرسون والعاملون ذهبوا جميعاً لزيارة كاظم السامرائي . . وعبروا عن سعادتهم لنجاته . كانت أياما عربية حافلة أثارت الوشائج الخفية ، والروابط غير المرئية التي تربط بين أبناء الأمة العربية . . وتظهر قوية في المحن والخطوب .

واقترح بعض المدرسين -بعد أن تماثل للشفاء- أن يذهب اثنان منهم في سيارة



لاصطحاب زوجته وأولاده من سامراء في العراق، وتعهدت إدارة المدرسة بمساندتهم، وأن تطلب من وزارة التربية تخصيص منزل له ولأسرته مجهزاً بالأثاث بصفة استثنائية حتى نهاية العام الدراسي. . وتمت الموافقة على الاقتراح من جميع المسؤولين في الوزارة وغيرها. . ولم يوقف هذا الاقتراح سوى كاظم السامرائي وقال:

- وأنتم جميعاً. . أستم أهلي وعشيرتي!؟ يكفيني منكم هذا. . إنني لن أنسى هذا ماحييت! . وسأذكره لأبنائي وأهلي. . حتى يشعروا بعزة الترابط بين أبناء الأمة العربية.

ولاحظ محمود المنزلوي بعد انتهاء المعسكر اختفاء سيارة كاظم السامرائي من مكانها. . فأسر بهذا إلى حامد الجوهري. . وسرعان ما انتشر الخبر. ووصل إدارة المدرسة. . واتصلت الإدارة بالشرطة لتعرف الحقيقة. . وعرفت أن الشرطة سحبتها من مكانها وأودعتها أحد مواقعها. . حتى يتم استلامها من صاحب العلاقة. .

وبعد شهر خرج كاظم السامرائي من المستشفى. . وذهب إلى سكن المدرسين العزاب بشانوية الشويخ. . وفوجئ بأن السيارة موجودة تحت المظلة نفسها التي كانت تقف عادة تحتها. . فلم يصدق عينيه. . ولكنها كانت سيارته. . سليمة تماماً. .

ويقول محمود المنزلوي في دهشة:

- لم أكن أتصور أن طلبة يكونون هذا الوفاء لأستاذهم. . إنها صورة تجسد حب الطالب لأستاذه إذا أحس منه الإخلاص في عمله. . فقد يجمع بينهما رباط من الحب المجرد الخالي من الغرض مدى الحياة. . بل تظل ذكرى عزيزة لما بعد الحياة في مخيلة من تبقى منهم. .

كان هذا النسيج العربي الذي جمعته الظروف في هذا الجزء من الوطن العربي بوحي أو دون وعي حلماً عربياً طالما هفت إليه النفوس منذ ألف عام. . أن يعيش العرب



ثانية تحت مظلة واحدة لا تمزقهم حدود مصطنعة، أو مصالح زائلة.. . وقد كان هذا يسعد الكثيرين ممن أدركوا أن هذا الحلم بدأ يتشكل و يؤتي ثماره.. . ويصبح كل من يعيشه نواة صالحة للإثمار في قطره.. . ومركزاً لدائرة عربية في بلده.

ألف الجميع هذا الحلم -من وعوا و من لم يعوا- وجعلوه واقعاً، وبدأوا يتعاملون على هذا الأساس.. . فالأرض أرضهم و المصالح مصالحهم.. . والتلاميذ و الطلاب أبناء جلدتهم وأباؤهم أتراب لهم.. .

في نشرة واحدة صادرة من وزارة التربية صدرت حركة ترقيات ضمت قيادات للمدارس والتوجيه، وشملت المصري والفلسطيني والسوري واللبناني والإماراتي وغيرهم مع الكويتي جنباً إلى جنب.. .

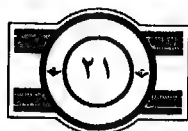
وانتقل محمود المنزلاوي ناظراً للسّامية، وفالح الشويخ للمنتبي.. . كما انتقل فيصل الثنيان ناظراً لكيفان، وحامد الجوهري مدرساً أول للدعية وغيرهم كثير، لافرق بين كويتي وغيره.

كان فراقهم لثانوية الشويخ أشبه بفراق ديار الأحبة، وأنشد الجوهري قصيدة ألحها في حفل أقيم لتكريمهم، كما فتح المنزلاوي بكلمته عيون زملائه على الأمل والحلم الذي يعيشونه في هذا الجزء من العالم العربي على البوابة الشرقية، وأكد فيصل في كلمته على العالم العربي الواحد، وأنه الأمل الوحيد لنهضة العرب.. .

ومضى كل منهم إلى طريقه.. . وإن ظلوا على عهد الوفاء لهذا المبنى العريق، بل ظلوا يترددون على المدرسة والنادي ويحضرون حفلاته الأسبوعية، وكثيراً ماكانوا يأتون معاً أو منفردين.. . يتأملون البحر أمام مدخل المدرسة وخاصة وقت الغروب وكأنهم يناجون المكان بلغة صامتة.. . وكم كان أسفهم أن تتحول المدرسة العريقة إلى جامعة بعدها.. . وكانوا يتساءلون: لماذا لم تبق الكويت على هذا الأثر النفيس باسمه ورسمه؟!



إنه ماض وتراث، ومن الصعب على من عاشه تغيير هويته حتى ولو تغير إلى جامعة..
فالإمكانات قادرة على بناء جامعة من طراز جديد وفريد.. ولكن كان لابد أن تبقى
ثانوية الشويخ رمزاً عزيزاً خالداً.



في نهاية شارع "القاهرة" وقبل دوار "عبد الله السالم الصباح" . . وفي عتمة
المساء لاحظ محمود المتزلاوي سيارة أمامه تدعوه للوقوف . . نزل منها اثنان . . ترجل
من السيارة وصافحهما وقال أحدهما:

- أهلاً . . سيادتكم الناظر الجديد؟

- أهلاً . . ولكن من أنتم؟!

ويشرحان الموقف، إنهما مدرسان بنفس المدرسة ويريدان أن يجلسا معه . . وهناك
من الزملاء من يريد أن ينضم إلى هذا المجلس . .

كان الموقف مفاجئاً . . ومن باب المجاملة قبل الدعوة، وهل في استطاعته غير
هذا؟! ومن لهجتهم عرف أنهما فلسطينان.

وكان اللقاء في الموعد في الرأس بالسالمية على شاطئ الخليج في كازينو الخليج
الفضي . .

لم يكن حفل تعارف بقدر ما كان شرحاً لواقع المدرسة من وجهة نظرهم . .
فالوكيل بالمدرسة استغل الناظر السابق واستولى على سلطاته . . ويشاركه في هذا شقيق
زوجته مدرس اللغة الإنجليزية .

كانوا يتناوبون الحديث وكل له شكوى . . وجلس المتزلاوي حائراً بماذا
يجيبهم . . . لم تطأ قدماء أرض المدرسة بعد . . فماذا يقول؟ التزم الصمت .

كما أن الشاكين والمشكو في حقهم من قطر واحد . . وهي أيضاً قضية من طرف
واحد . . غاب فيها الخصم، ولا يمكن استدعاؤه . . بل إن الشاكين لو سألتهم عن إمكانية
سماع الرأي الآخر لرفضوا . . إذن هي نعمة . . ولا يمكن لأي عاقل أن يتصرف على
هدى نعمة . . وهب مايقولونه صحيحاً . . فأين الدليل؟



أخذ يحسد حامد الجوهري على حظه . . فرائسة مدرسة ليست كرائسة مادة أقصى عدد أفرادها عشرة . . أما مدرسة فيها مايزيد عن مائة مدرس وإداري ومشرفين ووكلاء وألفين من الطلاب كلهم معلقون في عنق الناظر علمياً وتربوياً . . يقف وراءهم ألوف من أولياء الأمور وأسرههم، بل والمجتمع بأسره . . جميعهم شركاء في إدارة المدرسة يحصون عليها أخطاءها، وقد ينسون حسناتها في لحظة من لحظات سوء الفهم . . هذا ماسمعه من التعليقات بعد أن عيّن ناظراً . . رغم التهاني والتبريكات التي انهالت عليه من كل اتجاه .

كانت العيون تتجه إليه من أبو إياد وأبو مارن وأبو عبدالله تنتظر رداً . . وكان الرد سهلاً وبسيطاً وهو أنه لا يستطيع أن يبت في قضية الخصم فيها غائب أو أن يعلق على شيء؛ ووعدهم بأن يتحرى الحقيقة . . ويتعامل على أساسها . . وفي الطريق أخذ عقله يسترجع الموقف . . الخصمان من قطر واحد . . ويلجأ إليه أحدهما لأول وهلة، ودون سابق معرفة . . مامعنى هذا؟ وهل يستدعي هذا تشاؤمه بدلا من أن يعطيه إحساساً ثرياً باختفاء التشردم والتفتت والانطلاق نحو العالم العربي الواحد . . وإمكانية وجود مجتمع عربي تزول فيه الحواجز . . ويسود فيه الإحساس بالأخوة . . إنه يعيش داخل هذا الإطار الذي تمناه دون افتعال أوتشنج، ودون خطب حماسية .

وكما كان سعيداً مهياً لهذا، كانت المدرسة كذلك . . يعيش من فيها أسرة مترابطة تتفاعل كخلية واحدة . . وتناقش القضايا السياسية في إطار الوطن العربي الواحد، وكما كان التراث يجمع بينهم برباط قوي فإن الذوق والفن أيضاً له جذوره العميقة في أعماقهم . . فعبد الوهاب يشدو والكل يطرب، وأم كلثوم تصدح والجميع في غاية النشوة، وفيروز تغني فتستقطب الأسماع والقلوب، وشادي الخليج، وغريد الشاطي، ودنيا العرب نشوى، وآخرون من كل قطر . . من العراق وسوريا والجزائر والمغرب

والجزيرة العربية والكويت وغيرهم . . حلم جميل يعيشه العربي سعيدا من يدرك
يحس بالنشوة والأمل ، ومن لا يدرك يشعر بالرضا والأمان .

ما كاد يستقر في مجلسه حتى قال :

- الحقني يا محمود . . لقد وجدتها . . الحقني يا أخي . .

فأجابه محمود مداعبا :

- وجدتها؟ ماذا وجدت أنظن نفسك أرشميدس؟ أم أنك اخترعت بحرا جديدا
في الشعر؟ أيموت الزمار ويده تلعب؟!

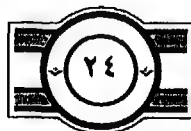
- يابني آدم أقول لك وجدتها، وأنت تعرف ما أقصد، وجدت النصف الذي
كنت أبحث عنه، إنها أجمل من سميراميس أسطورة الجمال . . وأروع من بلقيس ملكة
سبأ!!

- هكذا الشعراء دائما نظرهم (شيش بيش) وأحيانا يرون الأشياء مقلوبة
ومعكوسة . . تعرف أحمد رامي شاعر الحب و الغزل . . ظل يتغزل في " قلة " طوال عام
كامل ويظنها فتاة تقف في الشرفة . . ألم تسمع عبد الوهاب يقول هذا متندرا على
ضعف نظره؟! . . .

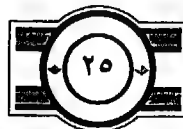
- يا أخي اسمعني . . أنا منذ رأيتهما وأنا في حال لا تسر عدوا ولا حبيبا . .
صورتها لا تغادر خيالي أو عيني . . السهاد صديقي . . والليل أطول من ليل النابغة . .
وأحلك من ليل امرؤ القيس . . لقد قلت فيها أكثر من قصيدة . . وكان لابد لها أن
تعرف ، فما أقسى الحب من طرف واحد!!

و يقاطعه محمود المنزلاوي :

- ماذا تقصد؟



- أرسلت إليها ((باقتين)) من هذه القصائد، وسأرسل الثالثة:
- و أين تعمل هذه الحبيبة؟
- ناظرة بمدرسة مجاورة، كأنها لؤلؤة خرجت من محارة.. لا أدري إلى أي قطر تنتمي.. فهي حواء وأنا آدم...
- ماذا تقول أيها الشاعر المخبل؟!
- كما سمعت..
- ألم أقل لك إن الشعراء مجانيين؟
- إي جنون في أن تحب، وأن تنظم ما تشعر به؟
- و يقول محمود ضاحكا:
- إلى هذا الحد وليست هناك مشكلة.. أما أن ترسل إليها بقصائد.. فهذه هي الكارثة.. ويصمت حامد الجوهري قليلا ثم يقول:
- وماذا أفعل؟ أظل هكذا أثقلب على الشوك وهي تنام هادئة، وتسعد بنظرات المعجبين..
- ما أغباك.. إنها مخاطرة قد تكلفك إلغاء عقدك والرحيل من هنا بأسرع مما تتصور، وترك ديار المحبوبة بلا عودة.. وبلا مكافأة أيضا!!
- و يثور الجوهري:
- ولكنها لم تشك ولم تعترض..
- هذا لا يبرر هذا التصرف.. وبصرف النظر عن أن الوزارة تحرص على كل من تعمل في ميدان التربية كأغلى ما عندها فضلا عن أنها قدوة لتلميذاتها، فماذا لو



كنت مسئولاً و عرفت أن أحد الموظفين يتغزل في إحدى الموظفات وبخاصة إذا كانت ناظرة، ويرسل إليها قصائده الملتهبة؟!

ويقول الجوهري مرتبكا:

- ومن سيلغ المسئولين في الوزارة؟
- ربما هي .. أو العزال .. لقد كانوا دائما حربا على الأحباب!
- معقول؟! لا تدعني أقلق ..
- كف عن هذا العبث أيها الشاعر العبيط .. فأنت ابن الخليج!
- ألم يتغزل الشعراء في النساء منذ بدء الخليقة؟!
- حقا لقد تغزلوا حتى في بنات الخلفاء، ولكن لم يرسل أحدهم قصيدة لمحبوته .. كما أن ردود الأفعال كانت في أغلبها قاسية وعنيفة. ألا تتذكر قصة مجنون ليلى .. وكان سبب حرمانه من محبوبته أنه تغزل بها .. قصة مشهورة وتدل على مزاج العرب وتقاليدهم!! حقا كان هناك من النساء من يطلبن الغزل. وينعرضن للشعراء رغبة في هذا .. ولكن الشاعر لم يكن موظفا بوزارة .. وهي لم تكن نالمة، كان مجرد عبث ظريف .. أفق يا صاحبي ..
- ماذا تقصد؟
- أوقعت نفسك في ورطة لا يعلم أحد مداها .. إلا إذا كانت الحبيبة قد لطشها شعرك المنفوش، وشكلك الملبخط هذا ..
- أتمزح؟
- أنا لا أتمزح .. ولكنك دائما تتصرف بلا حكمة إلا في المسائل المادية .. مع أن المفروض يكون العكس، ولكن شاء الله أن يخلقك مقلوبا هكذا، وكان المفروض أن لا تكون شاعرا ..

وينفعل حامد الجوهري:

- ماذا فعلت حتى تشمت بي هكذا.. وتلقي الخوف في روعي بلا سبب معقول؟!!

- بلا سبب!! أنت تحلم يا صاحبي.. هب أن الفتاة تصرفت بحمق كتصرفك، وأخذت هذه الخطابات وذهبت إلى وكيل الوزارة أو إلى المدير ولم تذهب رأساً إلى الوزير.. ماذا يكون الموقف أيها الشاعر الذكي!!

- أيمكن أن تفعل هذا مع شاعر معجب وهي خريجة كلية الفنون الجميلة وتقدر الفن الجميل..؟

- ولم لا؟ أَدع ربك لتضيق الرسائل في طريقها إليها!!

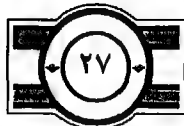
ويقول حامد جادا:

- أنا لو كنت أضمن استجابتها لي.. لما همني أي تصرف تأتي به الوزارة.. ولكن الخوف أن أفقد الإثنين معا.

و أراد محمود المتزلاوي أن يخفف عنه بعد أن أحس أنه أزعجه بما فيه الكفاية فيقول ضاحكا:

- اسمع يا حامد.. ما دمت تقول إنها فنانة، فالأمل في أن تقدر هذا الإعجاب.. لا أن تسبب لك مشكلة..

وكان ما توقعه محمود المتزلاوي.. وتحولت إلى مشكلة على مكتب وكيل الوزارة..

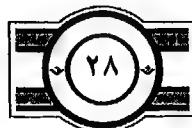


بعد تحية العلم سارت الطوابير إلى الصفوف، ورجع الناظر إلى غرفته، وساد الهدوء الذي يعقب دخول الأساتذة إلى صفوفهم، ولكن سرعان ما تحول هذا إلى ضجة، أقدام صاعدة هابطة على الدرج المجاور للإدارة، فوجئ جميع من كانوا بالإدارة بمجموعة من الطلبة والأساتذة يحملون جسما على أيديهم، وينطلقون به خارج المدرسة . .

كان مدرس الموسيقى . . وما هو إلا وقت قصير حتى دق جرس الهاتف . . . كان المستشفى ينعى للمدرسة مدرس الموسيقى . . هكذا تنطفئ الحياة وهي شعلة نائرة، ويجف ماؤها وهي نبع ثري متدفق . . هذا الشاب الممتلئ بالحياة والآمال يمضي هكذا !! إن الحياة والموت لغزان عجيبان حيرا البشرية منذ القدم فبعضهم قال القدر بلا تخطيط ولا حكمة، وبعضهم قال إنها الحكمة وتدبير مسطور . . ومع هذا يبقى الحزن والرغبة والخوف من هذا المجهول المتربص بالكائن الحي . . أكثر بكثير من الفرح بقدومه إلى الدنيا !! عجب كل من في المدرسة وخارجها واحتاروا في السبب . . لقد أمضى ليلته الأخيرة ساهرا مع فريق موسيقى راتر . .

كانت كلمة الموت تتردد على السنة من لم يدركوا كنه الموت، ثم رأوه رأي العين من الصبية والشباب . . وخيم شبحه على المدرسة لفترة طويلة استمرت حتى نهاية العام الدراسي . .

وسار في جنازته الكثير من جميع أقطار الأمة العربية ممن يعرفونه وآخرون لا تربطهم به صلة، وتقدمهم المسئولون في أعلى مراتب الوزارة . . وفتحت المدرسة لاستقبال المعزين من رجال وزارة التربية والطلاب وأهالي المنطقة . .



وجاء مأمور الشرطة . . وبعد تقديم العزاء لأسرة المدرسة . . طلب من الناظر أن يجلس معه على انفراد . . قال وهما وحدهما خلف باب مغلق:

- أردت أن أعزبك أولاً . . وأن أطلعك على سر خاص بالمرحوم . . .

ثم أخرج من جيبه لفافة صغيرة . . وقدمها له . . بهت الناظر وسأله:

- ما هذا؟

- أنظر ما بداخلها يا مُعوَّد . .

أخرج من اللفافة مادة صغيرة ترايبية اللون وقال مرتعدا:

- أظنها قطعة من مخدر.

- إنها قطعة من الحشيش . . وجدناها في جيب المرحوم.

- قصدك أنه كان يتعاطى المخدر؟

- ليس هذا فقط . . بل إنه مات منه . . وكان المفروض أن نبليغ النيابة . . وقد

تطلب تشريح الجثة . . ومنتشر الخبر . . وفيه تجريح لرجال التعليم . . لذا اكتفينا بإبلاغك

حرصا على كرامة المدرسة . . وحتى لا نجرح إحساس زوجته وأولاده . . ونحول بينهم

وبين المكافأة التي يستحقها من يموت أثناء العمل . .

- بارك الله فيك يا سيادة المأمور، وكيفيه أنه لاقى مصيره، وأنهى حياته جزاء

فعله هذا . . كما فجع زوجته التي ستضع مولودها الأول بعد شهر.

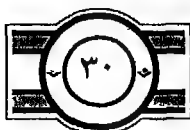
- كان الله في عونها وعونكم.

وانصرف المأمور . . واحتار محمود المتزلاوي بين إبلاغ الخبر لزوجته وزملائه ولو

بطريقة سرية حتى يخفف من لوعتهم عليه . . أم يسير في طريق المأمور، وينحاز



لكرمه، ويضع السر في بثر، ويهيل عليه التراب مع صاحبه وإذا كان هذا المجتمع يضم
بين حناياه هذه المثاليات، ويتغاضى عن الهفوة بإيثار نابع عن أصالة عميقة الجذور؛ فلم
لا يمضي معهم على نفس الطريق!! فلم يخلق بعد من عاش بلا خطيئة من البشر!!



كان يمر بين أجنحة المدرسة كعادته . . حتى لحقه أحد الفراشين قائلاً في لهجة استعجال :

- أستاذ . . أستاذ . . المدرس الزناتي يطلبك في الصف الحين . .

وصل إلى الصف . . أخذ المدرس يشرح له سبب استدعائه في نفاذ صبر . . بأن طالباً قد أعطاه ظهره، وكون مجموعة يقلدونه . . ويتحدثون مع بعضهم منصرفين عن الدرس مما يشكل إعاقة كاملة له عن أداء واجبه . .

كان والد الطالب الذي سمّاه المدرس اسماً مشهوراً يحمل في ثناياه المركز المرموق في الدولة والمجتمع . .

لقد وضع المدرس عود الثقاب في يد الطالب، فمن الممكن أن يشعل الفتيل فيجرد الناظر أيضاً من سلطته المفترضة . . إذا أساء الطالب التصرف أمام زملائه في الفصل . . فمجرد كلمة نابية في هذا الموقف مشكلة . .

أحس المنزلاوي بالمأزق . . فلم ينطق سوى أن قال :

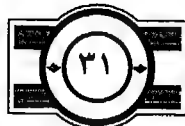
- اتبعني ياسالم . .

وانطلق الناظر إلى مكتبه . . والطالب خلفه . .

طلب منه أن يقف أمام الباب فوقف ممثلاً . . واتصل بوالده، رد عليه المشرف على رعاية الأولاد الذي وعد أن يزور المدرسة في صباح اليوم التالي . .

وجاء في الموعد . . وشرح له الناظر الموقف . . فقال الرجل :

- كل ما يهم والده أن لا يكون قد أهان أحد أساتذته، فإهانة الأستاذ أمر لا يغتفر لديه . . حتى أنه كان قد هم بتناول طعامه . . وعندما اتصلت بنا أمس كف عن تناوله خوفاً من ذلك . . وظل هكذا لا يقرب الطعام حتى جاء سالم، وشرح الموقف من وجهة نظره .



ولكنه لم يصدق.. وأخبره بأن أهم شيء عنده هو احترام مدرسيه، حتى وإن تجاوز عقابهم الحدود المعقولة واستشهد بقول شوقي.. ثم أوصاني بأن أنقل إليك رأيه فقال:

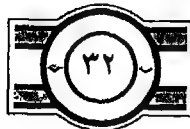
- إن لك حرية العقاب الذي تراه، حتى لو نقلته إلى مدرسة في جزيرة فيلكا!!
وبعدها بأيام كان "رمضان" وجاء المشرف وأبلغ المدرسة رغبة الرجل الكبير في تناول الإفطار معه.. ورجا أن تبلغ الدعوة إلى جميع المدرسين بجانب إدارة المدرسة.. ولما أخبره الناظر بأن العدد سيكون كبيراً.. أجاب بأن كل شيء جاهز.. وأن لا يضعوا هذا في الاعتبار!!

وكان يوماً حافلاً جلس الجميع أسرة واحدة يتبادلون الأحاديث الطريفة.. وكان سالم وأخوته مع والدهم في استقبالهم.. وجلس الرجل يشاركهم أنسهم وبهجتهم وكأنه يعرفهم منذ زمن بعيد.. وزالت حدود الأقطار وكأنهم أبناء ربع واحد.. لا حدود ولا سدود ولا قيود..

وأصر الرجل الكبير على أن يعرض عليهم فيلماً عن صيد البر وطائر "الحباري" كان مشتركاً فيه..

وأثناء العرض تعطل الجهاز فقام الرجل بنفسه بتفكيكه ومحاولة إصلاحه، وعرض بعضهم معاونته.. ولكنه رفض قائلاً:

- لا فائدة فينا إذا كنا نعيش حضارة لانفهمها، وأن نظل مستهلكين.. لا بد لنا أن نفهم ونستوعب حتى نلحق بركب التقدم..



جلست "لبنى" في غرفة وكيل الوزارة مضطربة بعد أن أصدر أمره إلى مدير مكتبه بأن لا يسمح لأحد بالدخول، بل إنه طلب منه أن يخبر كل من يأتي لمقابلته أو يتصل بأنه غير موجود.

ناول لبنى ورقة.. وقال في جدية:

- إقرئي ما فيها.. يا معودة..

ثم يتابع بعد فترة كافية:

- هل استوعبت ما فيها؟

فأجابت ولا زالت مضطربة وفي خجل:

- إنها قصيدة شعرية.. شاعر يتغزل..

- هل قرأت توقيع؟

- إنه وقع بحرفين "ح-ج".

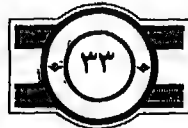
- هل تعرفين هذا الشاعر؟

فوجئت بما يقوله الوكيل فقالت وقد زاد ارتباكها، وانقلب إلى شيء من الحدة:

- من أين لي يا أبو مرزوق أن أعرف؟.. إن حيائنا لها طابع ونظام دقيق.. وحتى لو حضرنا ندوات ثقافية، فليس فيها شعراء يتغزلون بالمرأة.. وكانت قمة المفاجأة أن قال الوكيل:

- ولكن هذه القصيدة جيء بها، وكانت على مكتبك، واسمك مذكور فيها..

صعقت لبنى بما قاله الوكيل، وأكدت له باكية أنها لا تعرف شيئاً عن القصيدة أو قائلها.. ثم إنها كانت مريضة منذ أسبوع.. ولم تصلها رسائل بالبريد أو باليد تحمل قصيدة أو نثراً..



ويهدئ الوكيل من روعها . . ويخبرها بأنه لا يتهمها بشئ وأنه يعرف حصانة أخلاقها، وأن القصيدة فعلا أرسلت إليها خلال إجازتها، وأكد لها أنه سيبحث عن صاحب هذه القصيدة، وسينال عقابه . . وأخبرها بصراحة أن قريبة له تعمل وكيلتها في المدرسة . . وكانت الرسالة موجهة إلى ناظرة المدرسة فظنتها جاءت بطريق الخطأ من الوزارة وهي التي حملت القصيدة إليه، فأراد أن يتأكد من شيئين: هل هذه القصيدة هي الأولى أم سبقتها قصائد أخرى؟، وهل تعرف قائلها؟، فنفت له كلا الأمرين . . .

ثم قام وفتح باب غرفة مجاورة قائلا:

- تعالي يامعودة . . طيبي خاطر ناظرتك، واشرحي لها الموقف . . حتى لا تتعقد الأمور بينكما . .

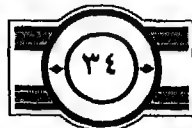
وقالت الوكيله أنها أرادت بهذا حمايتها . . فهي أولا تعرف أخلاقها، وطهارة سلوكها ومن بيت كويتي كريم . . وقد يكون هذا الشاعر عابثا . . ويشيع بين رملاته وإخوانه متفاخرا بأنها تبادله الحب . . فأردت أن أقطع عليه الطريق . . ونعرف من هذا الشاعر ونوقفه عند حده.

وبعد أن انصرفت، دق جرس الهاتف فرد وكيل الوزارة:

- ألو . . أبو جاسم . . خبرني . . عرفته . . كيف؟ أنا على كل حال في انتظارك في الديوانية اليوم . . وكان اللقاء، وسأله الوكيل:

- ألم تعثر على ما يؤكد أنه صاحب هذا الشعر؟

- بصراحة يابو مرزوق . . نحن أناس مسئولون، والأحكام دون دليل قاطع . . أو تبني على الظن ظلم، ونعوذ بالله أن نكون من الظالمين . . وهذه القضية لا يصح معها سوى الاعتراف . . ولا أظن أنه سيعترف إلا إذا كان مخبلا أو شجاعا أكثر من اللازم



لأن الاعتراف سيكلفه عمله . . فضلا عن الفضيحة . . لأن عرف الناس أشبهه بحد
السيف لا يفرق بين ضحية وأخرى، أو بين ظالم ومظلوم ومجرم وبرئ . . أما عالم
الشعراء فهو بلا قيود أو سدود لا يعرف العادات ولا التقاليد . . فهو لا يعترف إلا
بالعواطف بل إنه غارق في بحارها . . ولا يدرك هذا إلا الشعراء . . أتذكر هذا وأنت
منهم يا أبو مرزوق؟ .

ويضحك وكيل الوزارة ويقول:

- كآني بك تقف محاميا عنه وعن فعلته يا بوجاسم . . فهل يمكن أن تمر مثل
هذه القضية في وزارة الإعلام وأنت وكيلها وشاعرها . . وتغتفر للجاني فعلته . . غزل
رسمي !!

- لا تعقد الأمور هكذا يامعود . . وعلى كل حال أنت لم تستجوب الرجل
بعد . . ولا أظنه سيعترف فما هو إلا عبث شاعر . . وكان الشعراء يقولون ويتخطون
حدود المعقول والحلال ثم يجلسون مع خليفة المسلمين، ويعطيهم الجوائز والعطايا، ولم
يسلط عليهم سيف الشريعة . . فهم طيور مغردة مسحورة بجمال الكون وخفاياه وكنوزه
التي لا يدركها الإنسان العادي.

- هون عليك يا أبو جاسم، فليس لدينا سيوف لنقطع السنة الشعراء . . اطمئن
فالشعر باق مادام هناك عرب . . فهو موسيقاهم الخالدة الباقية . . ولكننا لا نغتفر له
إرسال القصيدة إليها!

وعندما استدعاه الوكيل وسأله قال حامد الجوهري في اعتداد:

- نعم أنا القائل . . .

وقال الوكيل في جدية:



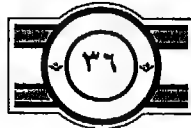
- ألا تعرف ثمن هذا الاعتراف؟

- حقيقة لا أعرف.. فالشجاعة عند بعض الناس تهور.. ولكن الشجاعة لا تأبه بذلك.. لأنها صدق وقدرة على مجابهة الحقائق.. أليس كذلك يا سيدي الوكيل؟!

ويتابع حامد الجوهري بعد لحظة صمت:

- هذا ما حدث يا سيدي.. لا أستطيع أن أختق مشاعري.. ثم إنني أعترف بإنني قد تجاوزت الأعراف والتقاليد.. لكن ما حيلتي.. إنها قدر الشعراء، لقد قتل الشعر أعرق شعراء العربية "المتبني"، فأين أنا منه؟!

- لقد تجاوزت حدودك بإرسال القصيدة إليها، هذا ما نؤاخذك عليه.. أما الشعر فهو ديوان العرب.. ولا تستطيع قوة مهما بلغ جبروتها أن تزودك عنه.. أو تردك دونه..



فكرة جيدة . . لماذا لا أذهب إلى المدرسة عصر هذا اليوم وأكتب بعض التقارير . . لقد بقيت أيام معدودة علي تقديم التقارير السنوية عن المدرسين . . وجمع محمود المتزلاوي أوراقه واتجه إلى المدرسة . . وجد حركة غير عادية فيها . . بل أنه اكتشف عالما آخر يديره الشباب . . أن هناك فرق شعبية تزاول الرياضة . . وأهمها رياضة كرة القدم، ولديهم الحرية لاختيار أي مدرسة لمزاولة مبارياتهم فيها دون أي اعتراض من أحد . .

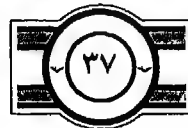
واحتار الناظرين أمرين: أن يغلق مكتبه علي نفسه وتقاريره أو يذهب لحضور المباراة . . وخاصة بعد أن سمع أن شخصية كبيرة في حقل التربية، ولجما من نجوم المجتمع يشغل منصبا سياسيا هاما سيزور المدرسة . . أبلغه بهذا حارس المدرسة في بساطة . . ولكنه رجح الاحتمال الأول . . نظرا لاقتراب موعد تقديم التقارير، ولا يجب أن تنبهه الوزارة إلى هذا كما حدث في سنوات سابقة بالإضافة إلى أنه استبعد حضور هذه الشخصية الكبيرة إلى المدرسة . . دون استعداد مسبق، تعلم به الإدارة لتجهيز الملاعب والأماكن لاستقبال هذا الضيف المرموق . . كما أنه لا يمكن أن يترك قصره المكيف في "بنيد القار" ويأتي إلى منطقة السالمية في هذا الوقت من النهار وفيه يتحول الجلو إلى لهيب في نهاية العام الدراسي .

أغلق الباب وراءه . . وجلس إلى مكتبه . . ولكنه لمح من شبك الغرفة سيارة فارهة تدخل إلى ساحة المدرسة . .

كانت السيارة تحمل الزائر المرتقب . . هكذا دون إعلان أو إشعار بقدومه . .

قال الرجل ببساطته المحبوبة:

- دعاني شباب الساحات الشعبية الصيفية لحضور مبارياتهم . . فأحببت أن يظل الأمر شعبيا بسيطا لارسميا . . كلنا أهل، وأبناء ريع واحد !!



وحضر الرجل اللقاء من أوله إلى نهايته، وقام عن كرسي عادي وسلم الجميع ميداليات تذكارية للفائز والمهزوم، وبأريحيته وطيبته ودون حراسة أو رسميات قبل الرجل دعوة الناظر لتناول بعض المرطبات.. وجلس يتحدث مع الجالسين عن ذكريات شبابه، وفتوته، وصيد اللؤلؤ.. والعناء والمشقة التي كان يلاقيها الصيادون في مجابهتهم للبحر دون معدات سوى ما توارثوه عن الآباء والأجداد من أدوات بسيطة.. وأن بعضهم كان يقضي خلال هذه الرحلة الشاقة.. ثم يضيف الرجل ببساطة:

- لقد عوضنا الله عن اللؤلؤ بهذا النفط.. ، كأنه يكافئنا عما لقيناه من مشقة طوال تاريخنا المعرق الطويل..

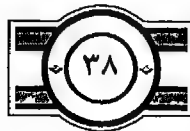
ثم نظر إلى الصور المعلقة على الجدران.. وأخذ يختبر الموجودين من الكويتيين وغيرهم في أسماء المراكب التي كانت تحتويها هذه الصور.. فهذه المركب تسمى «البغلة».. وتلك «البوم» للأسفار، «الجلبوت»، و«السمبوك» للصيد، وأخذ يحدد كلا منها بأبعادها وأوصافها، ومميزات كل منها وإمكاناتها.. حديث خبير متمكن من كل مايقول وببساطة وابتسامة راضية تعلو وجهه، واحترام لكل من في المجلس.. بل كان يداعب الفراشين ويدعوهم لزيارته في قصره.. وجميعهم يعرف قصره لأنهم دائما يترددون عليه.. ويقابلونه متى أرادوا..

ويلتفت الرجل إلى محمود المنزلوي قائلاً في عتاب:

- أستاذ.. لماذا تخلفت عن زيارتي سنوات، ربما ثلاث أو أربع.. ألم تكن تزورنا؟!

- بلى.. إن ماتقوله صحيح.. والحقيقة أن عمل النظارة لايتيح للإنسان فرصة للنظر خلفه..

- ويقاطعه الرجل في هدوء ومودة: نحن عرب يا أستاذ ولنا عاداتنا وتقاليدينا،



والمودة بيننا يجب أن لا تنقطع . . وكما كنت تأتي أنت وعائلتك لتزورنا في الأعياد
لاتقاطعنا . . فقد ظل زملاؤك يصلوننا كما كانوا . .

ثم نظر إلى لوحة أخرى بها خيول تجري فتنهد وقال :

- رحم الله أيام الشباب . . لقد كان لي مع الخيل قصة . . قصة الشباب والدفاع
عن تراب الوطن . . وشاهدها القصر الأحمر وسيفي الذي لارلت أحفظ به ، أما
شبابي وحصاني فقد سبقاني إلى الخلود . . .



كان يوم وقفة عيد الأضحى.. وهو يوم لا ينسأه محمود المنزللاوي. زارته في منزله مدرستان من معارفه.. وقالت الاثنتان في صوت واحد:

- نريد أن نأكل سمكا.. لقد شعبنا من الدجاج في سكن المدرسات الداخلي..
وقد وعدتنا زوجتك بوجبة من سمك الخليج الشهى..

ويجب المنزللاوي ضاحكا:

- ورأس "الخرجور" الكبير لن تأكلا سوى "النجرور" أو السبيطي وإلا "فالزبيدي؟".

ولكنهما رفعتا يديهما معترضتين وقالتا:

- لن نأكل سوى "الميد" المشوي.. لقد وحشنا البوري وهو شقيقه هنا في الخليج..

وحاول المنزللاوي وزوجته أن يغيرا رأيهما زيادة في إكرامهما.. ولكنهما أصرتا على رغبتهما..

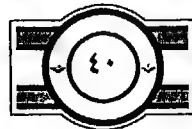
وقال المنزللاوي محاولا إثناءهما:

- إذا كنتم ترأفان بحالتنا لأن الميد أرخصها..

ولكنهما قاطعتاه في صوت واحد:

- يحيا الميد.. ولا شيء غير الميد.

وانطلق محمود المنزللاوي إلى سوق السمك.. وفي شارع القاهرة وبالتحديد عند نادي المعلمين برز له فجأة رجل يعبر الطريق.. لم تستطع "الفرامل" أن توقف السيارة مكانها.. وكانت الحركة التي تلت التوقف وحدها هي التي دفعت الرجل وألقته المقادير في طريقه..



توقف نهر الشارع من الناحيتين .. حادثة .. اجتمع الناس من كل اتجاه، فلا يجمع الناس سوى أمرين: كارثة أو فرح!!

ونزل محمود المنزلاوي، ولا يدري كيف استطاع أن يقف على رجليه .. كان جسمه ينتفض وكأنا زارته حمى مفاجئة .. إنه لا يطيق أن تذبح دجاجة أمامه .. فكيف يقوى على إصابة آدمي؟!

حمل الناس الرجل في سيارة إسعاف .. كيف جاءت، ومن الذي طلبها، وكأنا كانت تسير خلفه، تعرف موعد الحادث ومكانه ..

وجاء رجل شرطة وطلب منه بأدب أن يترك السيارة مكانها، ويذهب معه إلى مخفر شرطة «الدسمة» .. كان الضابط شابا به شهامة وتجربة واضحة .. قال وهو يطلب "شايا" وماء له عندما عرف مكانه وعمله:

- هون عليك يا أستاذ .. فما حدث قضاء وقدر .. وأهون من حوادث كثيرة بل أنه أبسطها ..

ثم أضاف:

- وأنتم رجال العلم والتعليم لكم مكانة خاصة في هذا البلد .. والحمد لله أن جاء التقرير الطبي بعد أخذ الأشعة .. "إنه كسر مضاعف" والمصاب تحت العلاج ..

وحوله إلى المحقق .. ولما انتهى طلب منه أن يتصل بأحد من المسؤولين بالوزارة ليكفله فأجاب المنزلاوي:

- إنني مواطن عربي .. وأنت الآن تعرف مكان عملي ووظيفتي فهل أحتاج إلى أحد ليكفلني .. فضلا عن أن لك مطلق الحرية في إبلاغ الوزارة بما حدث ..

فأجاب المحقق:



- تكرم أستاذي.. فعلا الأمر لا يحتاج.. مع السلامة!!

وخرج المنزلاوي وهو لا يذكر مما قاله المحقق سوى الجملة الأخيرة.. كان الوقت عصرا، وبدلا من أن يتوجه إلى منزله انطلق إلى صديق.. وبعد أن أحاطه بما حدث اتجهها معا إلى المستشفى الأميري بشارع الخليج العربي حيث يرقد الرجل على سريريه ورجله المصابة مرفوعة إلى أعلى.. بدا الرجل -وقد ناهز الثمانين- بأربطته، وفي ثياب المستشفى البيضاء، ونحول جسمه كأنه مومياء..

سأل الرجل وكان بدويا من العوازم نظر إلينا من خلال بصره الكليل وقال:

- من أنتما؟

فتقدم محمود المنزلاوي منه وقال:

- سامحني يا معود..

فأشاح الرجل بوجهه إلى الناحية الأخرى وصمت قليلا كأنما يقاوم.. وقال وهو يحاول أن لا يعلن عن ألمه:

- أين تعمل؟

- بوزارة التربية.

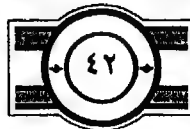
فقال الرجل ببساطته البدوية.. وفطرته السليمة:

- ولد أخي يعمل موظفا بالوزارة.

وحدد له الرجل مكان العمل. وتابع الرجل في صوته الواهن:

- لي رجاء عندك يا ولدي.. ابحث عن ابن أخي الحين ليبلغ أولادي بما حدث

حتى لا يبحثوا عني كثيرا.. وأنت تدري أن العيد غدا!!



ولم ينم محمود المنزلاري ليلته قبل أن يحقق رغبة ضحيته . . وهو يشعر بالتزام شديد نحوه، رغم إيمانه بأن هناك شيئا ما خفي عنه هو السبب فيما حدث . . وأنه كان ضحية مثله تماما . . فهو كما قال للمحقق لم يتعود السرعة . . وأن الرجل كان يجري في اتجاه السيارة ولم يستطع تفاديه تماما، وأنه سوف يحاكم على جناية لم يرتكبها . . فهو في نظر القانون مخطئ حتى يثبت العكس، كما أن أهله سينظرون إليه نظرة معتدٍ اعتدى على أبيهم أو قريبهم ولا يدرى ردود فعلهم . . إنهم في بلدهم، وهو غريب عنهم . .

كيف حدث هذا؟ إنه يخاف السرعة طول حياته، ويعتبرها رعونة . . أمن الممكن أن يكون جانيا في جريمة أُلقيت عليه؟ أيكون السبب هو ضعف بصر الرجل؟ ولكن من أين يعلم القاضي الذي سينظر في القضية؟ أو أهله وعشيرته وهو يملأون الصحراء؟ وهب أنه مات، فما موقفه بين القضاء والثأر . . كابوس يلاحقه في صحوه، ويخنق نومه وراحته؛ نسي كل ما حوله، وحامد الجوهري ومأزقه، بل إنه كان يتمنى أن تكون مشكلته يسيرة كالجوهري . . حتى ولو كانت تهدد بقاءه في الكويت . .

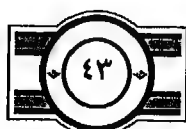
كم كان يتمنى أن يترك كل شئ مقابل أن يسمح له بالسفر. إن المصائب والبلاوي أشكال وألوان وهذه أشدها . .

لقد سقط في بئر لا يعرف له قرار، ولن ينقله منه سوى أمرين معا . . أن يبرأ الرجل ويعيش، وأن يأتي الحكم في صالحه.

ومما خفف عنه قليلا أن الرجل أخرجه أهله من المستشفى بعد أسبوع من الحادثة، وأزالوا الجبس عن رجله وجبروه بالطريقة التقليدية المتبعة منذ قديم الزمان . .

وقال طبيب المدرسة :

- إن المسؤولية الجنائية أصبحت متفية الآن بعد مغادرته المستشفى حتى لو لم يشف أو حدثت له مضاعفات أشد أو هددت حياته .

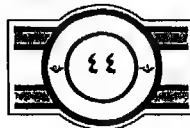


ورغم هذا بقي القلق يلاحقه . . ربما ينتكس . . ربما يموت . . سوف تلصق به كل نتيجة فيما لو حدث شيء ما . . حتي لو حكمت المحكمة ببراءته .

وجاءت المحاكمة . . وحصل على البراءة، واتضح أن ضعف البصر كان السبب فيما حدث . . .

كما أثبت المحقق أن أهل المصاب لم يحضروا المحاكمة، ولم يعيروها التفاتا . . مما أكد البراءة .

وأخذ محمود المتزلاوي يسأل نفسه: كيف حدث كل هذا؟ وكيف مر دون أن يضايقه أحد . . بل إن أقرباءه كانوا يقابلونه أحيانا داخل المدرسة وخارجها دون أن يتعرض له أحد ولو بكلمة . . بل كانوا يحاولون التخفيف عنه عندما يجمعهم به مجلس . . وكان يهمس لنفسه: غير معقول أن يكون هذا المجتمع بهذا الوعي الحضاري . . والفهم لطبيعة الحياة العصرية الحديثة . . والقدرة على الاندماج مع الغير دون حساسية أو تمييز . .



٣٠ جاء الفراش العراقي "عاشور" لاهثا واندفع إلى مكتب الناظر:

- أستاذ.. أسرع الأستاذ فؤاد في خطر.. أسرع أستاذ.

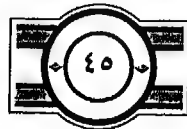
وانطلق الناظر يعدو خلف عاشور إلى الرسم.. كان المدرس مستندا إلى كتفي زميلين والدماء قد غطت أجزاء من قميصه..

اسرعا بحمله في سيارة. وانطلقا به إلى المستشفى.. كان ينوي اليوم أن يذهب إلى ثانوية الشويخ عصرا ويقف ليرى غروب الشمس، كما كان يفعل قبل أن تتحول إلى جامعة.. وإن كان يرى وجوها جديدة غير التي ألفها وعمل معها.. كل هذا لا يهم.. فالإنسان قد يحزم أمتعته ويرحل من مكان ما.. ولكن تبقى خيوط غير مريثة تشده إلى المكان وإلى الذكريات فيه حتى ولو كانت غير سارة.. وهكذا كان دأبه مع تلك البقعة الغالية على نفسه دون غيرها.. لماذا.. لا يدري!!

كان واجبه أهم من عواطفه وأحاسيسه.. أن يذهب إلى المستشفى ليرى فؤاد.. شاب طيب، خريج حديث.. ليست به صلابة المدرس المتمرس، رأى أحد طلابه منصرفا عنه يقهقه داخل مرسومه خلال الدرس.. نهاه ولكن الطالب لم يرتدع.. واستمر في تجاهله.. موقف محرج طلب منه أن يخرج تجاهله أيضا؛ أصبح الأمر تحديا واختبارا للقوة بين طالب مشاغب ومدرس لين العود.

دفعه المدرس خارج الرسم، وصفعه، فأخرج الطالب «مفكا» وطعنه في عنقه!!

وخلال التحقيق الذي أجرى أحس المحقق الذي قدم من الوزارة أن الطالب كان متأثرا بالأفلام الأجنبية وبخاصة أفلام العنف.. وأنه شاهد ليلة الحادث فيلم "مدرسة المشاغبين" "لسدني بواتيه"، وأنه اتفق مع بعض زملائه على التحرش بالمدرس.. لطيبته وصغر سنه..



واهتزت أجهزة الإنذار بالوزارة، وجاءت اللجان من إدارات مختلفة ومن إخصائيين اجتماعيين ونفسيين لدراسة هذه الظاهرة الجديدة التي هزت هذا النسيج المتجانس . .

وخلال هذه التحقيقات المتلاحقة . . ضاق أحد المدرسين الكويتيين، ولم يتحمل ما حدث لزميله غير الكويتي . . أخذ الطالب المعتدي دون أن يدري أحد، وانطلق إلى صف خال، وأخذ بثأر زميله . . وأسرف في عقابه، وأصبحت قضية أخرى جانبية، ولما سأله المحققون قال :

- إننا في مجتمع له قيمه وتقاليده، ومنه من قال: من علمني حرفا صرت له عبدا، فكيف يجرؤ أحد على الخروج على هذه القيم . . كان آباؤنا يقولون لمعلمينا لك اللحم ولنا العظم . .

ولما كتب الناظر تقريره واتجه به للوزارة . . وقابل الوكيل قـال له بعد أن قرأ التقرير :

- أنت ناظر المدرسة ولك الحق في اقتراح العقوبة المناسبة.

شعر محمود المنزلاوي بانتمائه إلى المجتمع . . واكتفى بنقل الطالب إلى مدرسة أخرى مع فصله أسبوعين حتى تظل المدرسة والمدرس في مكانهما الرفيع . . واستجاب الوكيل، وأقر العقوبة دون تردد . .

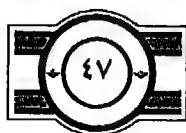
و عاد المنزلاوي إلى المدرسة، وما كاد يجلس حتى استدعى عبد الرحيم الشهابي الذي ثار لزميله وقال له :

- لم أكن أتصور أن تقف مع زميلك فؤاد . . فرغم أنك كويتي والطالب ربما



كان من معارفك أو تربطك به قرابة . . لم تراع كل هذا، ووقفت مع زميلك في
محنته . .

- استاذي لا تقل هذا . . فكلنا أهل وأبناء عشيرة واحدة . . من ها الخليج حتى
المحيط الأطلسي .



أعلنت الحرب على العدو الصهيوني وأسقطنا أربعين طائرة في غارة جوية واحدة . . أبشروا يا إخواني . . واذكروا دائما يوم الخامس من حزيران . .

نظر الجميع إلى "ياسين الحمد" وهو يصيح ويهني محمود المنزلاوي وأعضاء لجنة امتحان الشهادة المتوسطة . .

كاد الزمام يفلت من أيدي اللجنة . . واختلطت الأمور بعد انتشار هذا الخبر المفاجئ . . ولا يدري أحد كيف جاءت أجهزة الراديو إلى داخل اللجان . . إلى أن اضطرت اللجنة إلى جمعها من الطلاب والمدرسين بعد أن تأخر توزيع الأسئلة لبضع دقائق . . كان الأمر في الحسبان، ولكن قرار الحرب ليس أمراً سهلاً . .

كانت النفوس مهيئة للحدث الخطير . . بل كل من كان على هذه المساحة الممتدة -من الخليج الثائر إلى المحيط الهادر- بات يحلم بما حدث لتخليص الأمة العربية من هذا العدوان الجاثم على صدرها . .

وكانت الكويت رغم بعدها عن قلب الأحداث إلا أن العين الفاحصة لا تنكر أنها كانت تنبض وتنفض وكأنها قلب الأحداث . . والمعركة على حدودنا .

كان الطلاب والأساتذة يخرجون من لجان الامتحان، ويهرعون إلى سياراتهم لسماع آخر البلاغات الحربية بعد أن طُلب منهم عدم حمل أجهزة الراديو داخل اللجان حفظاً للنظام . .

ورسم بعض المدرسين الخرائط لمواقع الجبهات التي يدور عليها القتال . . يحددون عليها تقدم القوات والأماكن التي وصلوا إليها . . وبعضهم توقع وصول القوات العربية إلى تل أبيب في غضون أيام . . وآخرون تنبأوا هذا في خلال ساعات . .

وتحولت المؤسسات الحكومية إلى متدييات لمتابعة أخبار الحرب الدائرة في قلب الوطن العربي . .



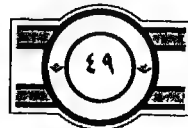
وتكونت لجان لمؤازرة المجهود الحربي في كل مجال، وضرب التجار بسهم وافر في هذا المجال ففاقت تبرعاتهم كل التوقعات باندفاع ذاتي دون مناشدة أو دعوة . .
وأعلن الموظفون عن رغبتهم في المساهمة في اقتطاع نسبة من معاشاتهم (رواتبهم) للمجهود الحربي .

كما أعلن العاملون في مجال الاستيراد من التجار امتناعهم عن استيراد بضائع من الدول أو الشركات التي تتعاون مع العدو . .

وتكونت اللجان النسائية لجمع تبرعات، وتبرعن بالمال والحلي . . وعُقدت الندوات والاجتماعات لإبداء استعدادهن للتطوع لخدمة المجهود الحربي .
وفُتحت المستشفيات لاستقبال الحالات القادمة من الميدان . . وسُخرت الدولة كل إمكاناتها لهذا الغرض النبيل . .

وأخذ الجميع يتوقعون النصر بين يوم وآخر تتويجاً لهذه الحرب التي دخلها العرب وهم يتوقعون أنها الجولة الأخيرة في هذه المأساة الدامية التي استمرت عشرات السنين وفقد قطر عربي هويته . . وخرج أغلب أبنائه لاجئين يطلبون الحياة والعيش الكريم في ظل إخوانهم وأشقائهم في العروبة . . واستضافت الكويت أكثر من عدد مواطنيها منهم . . رغبة في نصرة الأخ المظلوم، وأخذاً بيد الشقيق المشرّد بعيداً عن وطنه، وأفسحت صدرها لهم كأبنائها وجاءت الفرصة ليعودوا . . وكم تكون الفرحة أن ينتصر أخوك المظلوم، ويعود إلى دياره وربوعه، وتشد على يده مهنتاً . .

وقد جاءت الهزيمة في هذه الحرب لطمة قاسية . . فما أصعب الفشل بعد الأمل، والسقوط من حالق في بئر بعيدة الغور . . عاش المواطنون والمقيمون في الكويت والعرب جميعاً بعد انحسار اللثام عن وجه الحقيقة أسوأ أيامهم . . ذاهلون حيارى . . ترى الدمع وقد تحجر في مآقيهم، وانطوت قسماط وجوههم على حزن دفين، وألم مرير . .



وقامت المظاهرات في مدينة الكويت تعبر عن رفضها للهيمنة، وياتوا أمام السفارات التي خاضت دولها المعركة يطالبون بالاستمرار في الحرب . . وأنهم على استعداد للتضحية بأنفسهم وبما يملكون.

وانتزع محمود المتزلاوي نفسه من العزلة التي فرضها على نفسه احتجاجاً على ماحدث، وعلى عجزه عن أن يقدم شيئاً . . وقرر أن يذهب إلى نفس المكان الذي يناجي فيه غروب الشمس أمام ثانوية الشويخ . . لعلها تعطيه نفحة من صبر، أو شعاعاً من أمل . .

وهناك وجد زميله حامد الجوهري قد سبقه إلى المكان ووقف خارج سيارته يكي . . وقد دفن وجهه بين يديه على سطح السيارة . . وتلاقت النظرات . . وتوقف اللسان؛ فما فائدة الكلام . . وماذا يقال بعد أن حدث ما حدث!!

وينظران معا إلى سيارتين تقفان على مسافة منهما، وكأنهما أدركا من بداخلهما فقلا في صوت واحد متعجبين:

- وكيل الوزارة . . أبو مرروق!! وكذلك فيصل الثنيان!!

فيقول حامد الجوهري في صوت بعيد الغور:

- حالهما كحالنا . . جاءا يكيان حظ العرب التيس . .

وبعدها جاءت حرب ثلاثة وسبعون بعد ست سنوات من الحزن والهوان والإحباط، وشعور بالمرارة لم يعرفه العرب منذ هزيمتهم على أيدي التتار في بغداد . . كانت حرب أكتوبر مفاجأة . . أخذت العرب والعدو على غرة . . هكذا يكون التخطيط والتدبير، وإن ظلت الجماهير العربية ليوم كامل لا تصدق حجم الإنجاز الذي تم على ساحة القتال . . حتى تناقلت الأخبار والأبناء العالمية جميع ما حدث، ووصفته بأنه من معجزات الحروب وأشادت بتفوق المقاتل العربي متى ملك السلاح المناسب والقيادة

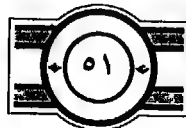


الواعية . . كما نوهت بالتكتيك المبتكر، وخداع أجهزة الإنذار، وطائرات الاستطلاع التي كانت ترصد تحركاتها، وبالأداء المتناسق بين الأسلحة المختلفة . . وتحطيم الخطوط التي تحصن بها العدو والتي تحولت إلى مصايد، وكأنهم جردان وقعوا في فخ كبير . . .

وكم كانت سعادة شعب الكويت بهذه الانتصارات وتحولت عاصمته إلى ساحة عرس كبير . . وخرج الناس فيها وفي ضواحيها في مسيرات حاشدة ضمت الناس جميعاً من كل قطر عربي تعبر عن فرحتها . . النساء قبل الرجال والأطفال والشباب والشيب . . . عاشوا جميعاً في عرس دائم لأسابيع . . في منظومة عربية سعيدة .

ولكن هل تتيح القوى التي تتحكم في عالمنا المعاصر أن نتجاوز أقدارنا ونصبح قوة ثالثة ونقضي على إسرائيل؟ . . لا بد من تحجيم أية قوة تظهر هنا أو في أي مكان في العالم . . فلسفة يعتنقها الكبار دائماً وأنانية تتحكم في الإنسان العادي منذ وجوده قبل أن تتحكم في الدول؛ فالإنسان لم يستطع بعد أن يتخطى هذا الحاجز النفسي، بل إنه سخر كل ما يملك من قدرات لتقوية هذا الحاجز المقيت حتى اللون والدين والمكان التي لا تدخل للإنسان فيه جعل منها جدراناً لتفصل بين الإنسان والإنسان . . هذا جنس وهذا جنس أرقى . . وذلك مكان في الشمال في أعلى مرتبة، وذلك مكان في الجنوب يجب أن يوضع في أسفل مرتبة، ويكون ناسه والبهائم سواء بسواء . .

ولم يدرك العرب الفرصة السانحة ليجلسوا علي مقاعد الصلح التي أعدت بعد هذا الانتصار المباغت الذي أذهل العالم . . وظل بعضهم يزايد كما هي العادة حتى بردت نار الهزيمة لدى إسرائيل . . فأخذت تراوغ من جديد . . ولكن البعض أدركها فانتهاز الفرصة واستعاد ترابه . . فاهتبال الفرصة ذكاء . . و من بعد النظر أن تنفذ الشعوب إليها ولو من ثقب إبرة . . فالحرب دائماً طرفاها خاسران غالب ومغلوب . . فالانتصار لا يأتي إلا على جماجم الشباب، وأموال تذروها رياح المدافع والقنابل . . وأرض موات محروقة عند المنتصر كما هي عند المهزوم . .



ألحت الذكريات على رجيل ثانوية الشويخ أن يجددوا الذكرى وأن يستعيدوا
سهراتهم خلف جدرانها العريقة، وأرباضها الهائلة الغارقة في الهدوء، وبين عطر الزهر
ونسמת الخليج . . وكما يسبي الجمال في الإنسان، فإن سحر المكان له عشاقه
ومريدوه . . .

- لماذا لانقضي ليلة هائلة كلياينا الماضية؟

ويتابع كاظم السامرائي:

- أو كلياالي ألف ليلة وليلة . . .

ويضحك معاوية السوري:

- لله دركم يانشامى . . إنها فكرة صافية وعذبة كأنها من نبع بردى . .

ويحتج السامرائي قائلاً:

- ولماذا لاتكون من نبع دجلة ياأخي؟!

- من نبع دجلة وبردى والفرات واليرموك والنيل معاً . . مبسوط يا ابن الخال

والعم؟ نذهب إلى ثانوية الشويخ الحبيبة لنستعيد ذكرياتنا في ناديها الساحر!!

ويهز كاظم السامرائي رأسه موافقاً . .

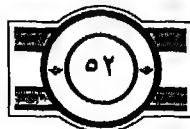
ويدخل الجوهرى وفيصل الثنيان و محمود المنزلاوي، وعندما يعرضون عليهم

الفكرة يقول فيصل الثنيان وقد أشرق وجهه، وهو يستدير راقصاً:

- والله جينالك ياالحبيبة جينالك . . ومن طول بعادك عيني ماترى النوم . .

ويتابع في سعادة:

- أتدرون يا شباب . . أكون مخطئاً إذا لم أصارحكم بما في قلبي . . أنا ماأحب



أن أقول: إنني أحقد على من احتلوا مكاننا من أساتذة الجامعة. . ولكني أقول إنني أحسدكم على أنهم يعيشون بين ربوع معشوقتي ثانوية الشويخ وكل من ضمتهم جوانحها الرقيقة الحانية، وكأنها وهم ليلي وقيس.

ويرفع الجوهرى ذراعه قائلاً:

- لا تحاول الشعر. . ولا تغزل فيها فهذه لعبتي وفني، واقصر جهدك على خرائط الجغرافيا، والرياح والزوابع والطور، والتاريخ القديم والحديث! ويتدخل المنزلوي:

- لا تنهاوشا يا شباب، ودعونا نفكر ونحسب حسبها، ومن سندعو. .

ويقول فيصل الثنيان:

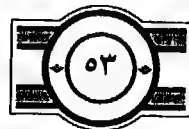
- إنك لن تهرب من الملامة. . فما من أحد بالكويت تلقى العلم بها إلا ويود أن يكون أول المدعويين. . فكل واحد منهم آدم دخل جنتها وبكى يوم خروجه منها. . وتعجب الداعون إلى الحفل من تأجيله لمدة أسبوع وقال فيصل الثنيان لهم وقد اجتمعوا في مقهى أبراج الكويت:

- أنا حتى الآن يا جماعة لأنهم سبب تأجيل هذا الحفل!؟

أما محمود المنزلوي فكان يعزو تأخيرها لأن وكيل الوزارة والوكلاء المساعدين والوزير لديهم ارتباطات سابقة. . وقد دعوناهم إلى الحفل، وربما يريدون الحضور.

أما معاوية الحموي فقال ضاحكاً:

- أرجو ألا يتأخر أسبوعاً آخر. . فقد كان صاحب المطعم الذي تعهد بتجهيز الطعام منزعجاً للتأجيل أكثر منا. .



- ولماذا لا ينزعج .. إنه تاجر شاطر .. حفل كهذا مكسبه منه لا يقل عن مائتي دينار أو أكثر .. سوري عبقرى .. معاوية .. السوريون أذكى تجار في العالم والأمثال المتداولة تدل على أنهم تفوقوا على اليهود في هذا المجال ..

- إن الأشر منكم الدمايطة أخوالك يا جوهرى .. لقد تفوقوا على السوريين يا صاحبي ..

ويضحك الثنيان قائلاً:

- إن الدمايطة أيها الجهلة أغلبهم مهاجرون من سوريا .. اقرأوا التاريخ ياسادة ..

وينتهي محمود المنزلاوي بحامد الجوهرى ويسأله عن موضوع لبني .. وماذا تم بينه وبين وكيل الوزارة فيخبره بكل ما حدث فيقول المنزلاوي:

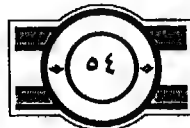
- إنه أمر لا يطمئن يا حامد .. هل كان من الضروري أن ترسل لها القصيدة يا بني آدم؟

- كيف أحب وردة نضرة مثلها .. ولا تعرف مقدار إعجابي بها .. أو روعة جمالها .. لقد صعقني جمالها ورقتها ولا قدرة لي على حبس هذه المشاعر، وإلا كنت كائناً متحجراً!

- قل ماشئت .. وتغزل ليل نهار، ولكن لا ترسل إليها، أنا رأيي ليس في صالحك ..

ثم يستأنف حديثه بعد صمت:

- ولكن قد يشفع لك ويقدر أحاسيسك وكيل الوزارة، فأبو مرزوق كما تعلم شاعر .. وعلمت أنه أخذ رأي أبو جاسم وكيل وزارة الإعلام وهو شاعر أيضاً .. و ..



ويقاطعهم حامد في جراحة:

- لا تشغل بالك يا أخي.. أنا لست جباناً.. ولم تكن لي قدرة على حبس أحاسيسي وعواطفِي.. وأنا أترك أمري للمقادير.. وكما قيل: دع المقادير تجري في أعتها..

وقبل الحفل بيومين اختفى حامد الجوهري تماماً، بحث عنه المنزللاوي والثنيان والسمراثي في كل مكان ولم يعثروا له على أثر.. وشاعت قصة غزله والتحقيق معه.. وألقت سحياً داكنة على جو الحفل المقبل لدرجة أنهم قرروا إلغائه.. فقد ظن الجميع أن الجوهري قد أنهى عقده وسافر إلى دبي أو القاهرة لا أحد يدري.. وقويت هذه الشائعة حتى أنهم اجتمعوا وقرروا أن يذهب وفد منهم إلى وكيل الوزارة لإلغاء الحفل.. ولكنه أصر على إقامة الحفل في مكانه وزمانه وسأل:

- لماذا الإلغاء بعد الإلحاح الشديد والرجاء الكثير لإقامته؟ ثم إنني دعوت بعض من يسعدهم هذا الحفل في ربوع شبابهم، وموطن ثقافتهم، وهم شخصيات بارزة في المجال الثقافي والاجتماعي.. فماذا أقول لهم؟ فهل هناك تفسير لهذا؟

ويرتبك فيصل الثنيان ويقول:

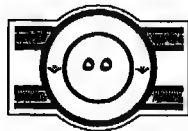
- لا شيء.. لا شيء.. ولكن..

- تكلم يا فيصل.. هناك شيء تود أن تقوله.. تكلم..

- أنا يا أبو مرزوق لا أريد أن أتدخل في شئون الوزارة ولكننا لن نكون في وضعنا الطبيعي بغياب رميلنا الجوهري.

ويبتسم الوكيل وهو يقول:

- وماذا حدث للجوهري؟ هل أصابه مكروه؟



- ويزداد ارتباك فيصل .. فيقول مترددا:
- يشيعون أن الوزارة قد أنهت عقده بسبب قصيدة ..
- ثم يستدير للوكيل محرجا:
- سيادتك تعرف أكثر مني ..
- وماذا في ذلك؟ ألم تسمع المثل القائل: البلاء موكل المنطق .. وإذا كان قد حدث له شيء فهذا ما جناه على نفسه ..
- لقد كنا نعتمد عليه .. فهو نجم هذه الحفلات كما تعرف ..
- نجم .. إن سماءنا ملأى بالنجوم!!
- ثم يتسم الوكيل في حنو ويقول في هدوء:
- انصرفوا إلى حفلكم .. وسوف يكون حفلا رائعا بإذن الله ..
- وسيطرت الكآبة على الحفل .. وتحول إلى شبه حفل رسمي في انتظار الوكيل وضيوفه ..
- ولكن فوجئ الجميع بسيارة تتوقف أمام النادي .. ينزل منها عروسان في ثياب الفرح .. ولم تصدق عيونهم أن الذي أمامهم كان الجوهري بشحمه ولحمه .. وعروسه الجميلة .. هل هي فاتنته صاحبه القصيدة؟ فيقول معاوية الحموي بينما يصفق الجميع:
- أهى؟ أم صاحبة قصيدة أخرى؟
- ويضحك الجوهري سعيدا وهو يجلس في صدارة المكان مع عروسه .. ويقول:
- إنها هي .. ولا أحد سواها!!
- ويقول فيصل الثنيان مهتئا ومرحبا:

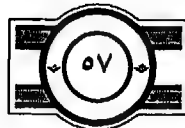


- ومن جمع الشامي على المغربي.. كما في المثل!!

فيجييه كاظم السامرائي:

- أبو مرزوق الشاعر.. والكويت العزيز!!

وسرعان ما تحول الحفل إلى رقصات تقليدية من جميع أقطار الوطن العربي..
رقصة السيف، الدبكة، التحطيب.. وكانت ليلة ظلت ذكرى جميلة.. وبعدها طار
الجوهري وعروسه إلى دبي حيث قضوا أسبوعين من شهر العسل هناك بين أهله
وأقربائه.. وجاءا بذكريات سعيدة..



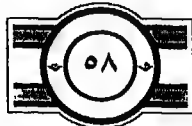
صباح الخير أستاذي .. لقد حضرت إلى القاهرة لأشارك في مؤتمر طبي .. فقلت
هذي فرصة لأسمع صوتك .. كل معارفك بالديرة يحيونك .. ويدعون لك بالصحة .
- بارك الله فيك يا أبو مبارك، أصيل، وفيك الخير، وأنتم جميعا في الكويت
أحبابي .. تفضل يا ابني .. أحب أن أراك قبل أن تغادر .. فرؤيتك تسعدني .. يا
دكتور ..

وفي المساء جاء الدكتور مشاري البحر يزور أستاذه، وما كاد يراه في سريره حتى
قال منزعجا:

- سلامتك أستاذي .. ماذا أصابك؟ هل تشكو من شيء؟
- تعرف يا أبو مبارك .. من يوم أن عدت من الكويت، لم تستقم صحتي ..
ولا أدري لماذا!
- سلامتك .. لقد ودعنا من ستة شهور فقط .. وكنت في صحة جيدة على ما
يبدو ..
- كان وقتها عندي مقدمات تعب في الكبد .. ولكن ازداد تعبي بعدها .. وأنا
أتردد على دكتور شهير هنا الآن ..

أخرج الدكتور مشاري أجهزة كانت معه في حقيبته وأخذ يفحصه ثم قال في
حنو:

- أستاذي ضغطك مرتفع، ويحتاج إلى تنظيم، أما مسألة الكبد فأنا لست
مختصا فيه .. ولكن سيزورنا في الكويت إخصائي عالمي فرنسي .. فما رأيك لو جئت
وعرضت نفسك عليه .. فربما يتم على يديه الشفاء ..
- أشكرك يا أبو مبارك .. وسأفكر في الأمر ..



- أستاذي أنا لا أقدم لك معروفا.. وإنما هو واجب التلميذ نحو أستاذه..
- وبعد أن انصرف الدكتور مشاري قالت له زوجته:
- هل تنوي أن تعمل بمشورة أبو مبارك يا عثمان؟
- لا أظن.. فالظروف قد تغيرت، فقد تركت الخدمة بعد بلوغي الستين..
- فكيف أن طفل عليهم.. وأحملهم تكاليف علاجي.. ثم إنني أعالج على يد طبيب كفاء.. والأعمار بيد الله.
- وحاول محمود المتزلاوي أن يثنيه عن موقفه، ولكنه رفض قائلا:
- لا أستطيع يا محمود قبول كل هذا.. فمن قابلتك بالمعروف وجب عليك أن تقابله بالتعفف والقناعة.
- إن الناس هنا يقدرّون إخلاصك في عملك طول مدة وجودك بينهم.. وتلاميذك هنا.. امتداد لعملك وجهودك مدرسا وناظرا وموجها..
- وتدخل فيصل الثنيان في المكالمة على أمل اقناعه بقبول الفكرة.. ولكنه أصر على الرفض.. حتى اتصل به في اليوم التالي، وأكد له بأنه سيضطر إلى السفر إلى القاهرة لاصطحابه، ورجاه أن لا يرفض رجاءهم..
- ولما وصل الأستاذ عثمان منصور إلى مطار الكويت كانت هناك في انتظاره مجموعة من زملائه وتلاميذه.. وصحبوه إلى مستشفى الصباح..
- كانت عناية المستشفى بالرجل فائقة.. ونشرت الصحف بعضا من أخبار الرجل، وعودته للعلاج على أرض الكويت التي أحبها.. وأفنى زهرة شبابه معلما قديرا مخلصا أميناً محبوباً من الجميع.. وتوافد عليه معارفه وأصدقائه ومحبه من أبناء الوطن العربي من المغرب حتى الخليج العربي وصارت غرفته بالمستشفى امتدى لهم..



وأقام الدكتور مشاري بالمستشفى إقامة شبه دائمة ليكون مع أستاذه . . وأجرى له جميع الفحوصات اللازمة انتظارا لقدم الطبيب الفرنسي . .

وفي الليلة السابقة لحضور الطبيب الزائر خلا المكان ولم يبق معه إلا الدكتور مشاري فقال:

- يا دكتور . . لا ترهق نفسك هكذا معي، حتى لا تجعلني ألوم نفسي، فأنا لا أود أن أرهق من أحب . .

ونفى مشاري أنه مرهق، وأن كل ما يؤلمه هو رؤيته له وهو مريض، وكان يتمنى أن يراه في أتم صحة وعافية.

فقال الرجل وهو يغالب ألمه:

- كم كنت أود أن أراكم وأنا في صحة وعافية . . ولكنها الظروف، على كل حال . . لقد تركت مكتوبا في هذا الدرج، هو وصيتي أرجو أن تقوم بتنفيذها حتى تريحنى بعد أن أرحل . . فأنت تعرف أنني لم أنجب . . ولكنني اعتبرت ابني . بل كل من تعلم على يدي ابن لي . . وأنت أعزهم . . وصيتك أن تفتح هذا المكتوب، وتنفذ ما فيه حرفيا . . حتى لو اعترضت زوجتي، وأشد الناس قرابة لي . .

وتطفر الدموع من عيني مشاري . . ويقول متأثرا:

- سلامتك يا أستاذي . . لماذا تقول مثل هذا الكلام؟

ويقاطعه الرجل قائلا في وهن:

- أنت تعرف قبل غيرك أنه لا فائدة ترجى من كل هذا ولكنك تبذل أقصى ما تستطيع . . أليس كذلك؟!

وجاء الطبيب، وكانت حالة الأستاذ عثمان منصور الأولى فيما عرض عليه . .



واضطر أمام إلحاح وإهتمام الدكتور مشاري أن يجري تحاليل جديدة وفحوصات وأشعة لكل ما في جسمه من سوائل وأعضاء... ولكن النتائج جاءت سلبية وأن الأمل في إنقاذ حياته واه... وأدرك الرجل بذكائه الذي لم يفارقه الأمر... فازداد مرحاً... وطلب أن يسمع الموسيقى والأغاني، وطلب أشرطة لأغاني عبد الوهاب وأم كلثوم وغريد الشاطي وشادي الخليج.

وعندما حانت الساعة، طلب محمود المنزلوي وقال له:

- يا محمود أنت بمثابة أخ لي... ومشاري بمثابة إبني... إنني لا أرجو منكما سوى أن تتعاونوا على تنفيذ وصيتي.

وقال لهما... إنها وصية ذات رغبة واحدة... وطلب منهما أن يذهبا ليستريحا في منزلهما، فهو يريد أن ينام هذه الليلة نوما عميقا...

وخرجا بعد إصراره، وفي الصباح عادا مبكرين ولكنهما وجداه جثة هامدة...

وامتدت يد مشاري إلى المظروف الذي تركه وقرأ وصيته... وهي أن يدفن في ثرى الكويت في مقبرة الصليبخات، قريبا من ثانوية الشويخ التي قضى زهرة شبابه معلما بها...



كان عائدا من لجنة امتحان الثانوية العامة مرهقا من العمل ومن حرارة الجو حتى أنه تناول نصف غذائه المعتاد وهرع إلى السرير، وما كاد يغفو حتى دق جرس الهاتف، كان المتحدث أحد أساتذة الفلسفة . . أخبره أنهم إستغنوا عن خدماته، وظهر إسمه في كشوف من انتهت عقودهم، وطلبوه في الوزارة لهذا الأمر . .

وكان وقع الخبر على محمود المتزلوي شديدا ومؤلما، فهو يعرف ظروف هذا المدرس، فقد كان مثالا للجد والاجتهاد والتفاني . . بالإضافة إلى أنه مدرس نادر المثال في فنه وثقافته . . ولكنه عود نفسه أن لا يطلب لذاته شيئا من مسئول أعلى منه منصبا . . فهل يطلب لغيره؟ وما ردود الفعل؟! وهل يكون مقصرا في حق هذا الإنسان الذي ظن أنه يستطيع أن يمد له حبل الإنقاذ وهو في هذه الأزمة التي فاجأته على غير انتظار؟! ألا يكون مقصرا أيضا لو ترك هذا المدرس بقدراته يمضي، ويحرم الطلاب من أمثاله؟ إن المدرس الذي يفهم واجبه، وينمي نفسه باستمرار ثروة قومية لأمتة العربية . . فهل يلوذ بالصمت أم ينبه المسؤولين إلى مراجعة الأمر بشأه ؟ إنها بلا شك أمانة العمل، ولا أظن أنهم سيشكون للحظة أنه يحاول أن يتسلق ثقتهم فه لمصلحة إقليمي أو شخصية .

ولكن وكيل الوزارة الجديد ليست له علاقة وثيقة به كسابقه الذي كانت تربطه به ومالة منذ أن كان مدرسا معه . . واقتصرت علاقته بالوكيل الحالي على اللقاءات الرسمية أو العابرة أو أثناء زيارته للمدرسة . . وهذا السبب الأخير كان يشده للتراجع، ولكن رجح كفة الإقدام على عمل ما لنصرة هذا المدرس أن له زوجة تعمل في حقل التدريس أيضا، فهي حجة مقنعة لإعادة النظر في قرار إنهاء تعاقد المدرس . . فشهادة العرب تأبى التفريق بين زوجين وأطفال . .

هل يكتب للوكيل، أم يذهب إليه ليشرح الأمر؟ واستبعد المشافهة في هذا



الموضوع . . إذ لا بد من شرح الجوانب الإنسانية في القضية . . وإذا كتب هل يكتب في كتاب رسمي أم كتاب أدبي حتى لا ينسى النواحي الإنسانية والعاطفية . .

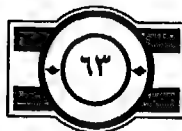
وغالبه النوم . . لكنه قام قبل الفجر بقليل مفزعا، فهو لم يته الأمر، ولم يجب على استغاثة المدرس . . لابد أن يحسم الموضوع هذا الصباح . . وأمسك قلمه، وخط كتابا حاول أن ينقل فيه مشاعر هذا الإنسان وظروفه وقدراته، وأن هذا القرار قد مزق شمل الأسرة . .

وقام من فوره في غبش الصباح، وانطلق إلى منزل سكرتير المدرسة، الذي أصابته الدهشة لحضوره في مثل هذا الوقت، وفي طلوع الشمس كان في الوزارة . . والكتاب بين يدي الوكيل . . طالع الوكيل الكتاب سريعا ثم أسفر وجهه عن ابتسامة مشرفة وقال في لهجة ودودة :

- إن شاء الله يصير خير . . .

وأدرك المنزلاوي بحسه الدقيق أن الكتاب قد لاقى قبولا لدى الوكيل . . إنه عربي يقدر الكلمة الأدبية الرقيقة، فالأدب زاد العرب منذ قديم الزمان وموطن حكمتهم، وطريق معبد للوصول إلي أعماقهم، وينفحهم السعادة والرضا . .

وفي صباح اليوم التالي أعاد الوكيل بحث حالة المدرس وجميع الحالات المماثلة. وتعجب الكثير مما حدث . . كيف ترجع الوزارة في قرارها وتعيد من استغنت عن خدماتهم بمثل هذه السرعة . . لأنهم لم يعرفوا أن الأدب بلسم القلب العربي، والسلم الذي يصعدون به إلى أجواء الفضاء . . والنفق الذي يغوصون فيه إلى أعماق المحيط . .

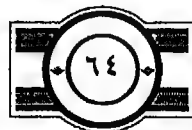


كان الاتفاق بين الثلاثة محمود المتزلاوي، وعوني النفيسي وحامد الجوهري على أن يسافروا بطريق البر بدلا من الطائرة توفيراً ومتعة . . يقطعون خلالها بعض الأقطار العربية . . سياحة وتعرف على بلاد شقيقة، واتفقوا على أن لا يسرعوا فماذا يضيرهم لو بقوا في بغداد أياماً، المدينة العريقة التي تغني بها الشعراء . . وسمعوا عن السمك "المسجوف" وطعمه اللذيذ من كاظم السامرائي وكل من مر بالعراق وعاصمة الرشيد!! وعمّان بلد الجبال السبعة وفندق الأردن الشهير وثمارها، ولحم الضأن الشهي، الذي غذته مراعيها الشاسعة!!

أما دمشق وغوطتها و"بوظتها" الدسمة التي تذيب لهيب الصحراء، فقد حدثهم عنها زميلهم معاوية!! وخاتمة المطاف لبنان بجبالها ومروجها وفنادقها ولياليها الساحرة . . ومرباعها الشهيرة؛ رحلة وعاليه!! والابحار من ميناء بيروت حتى الإسكندرية عبر البحر الأبيض المتوسط . . وقضاء الإجازة في رأس البر كما اقترح الجوهري على المتزلاوي أما عوني فله عالم آخر في سوريا . .

وانطلقت السيارات الثلاث عبر الصحراء الملتهبة وكانت أول صخرة ارتطموا بها معاملة أول مكتب للجوازات على الحدود المجاورة مباشرة -في صفوان- في العراق والتفتيش المتعنت، لكل ما يحملونه من متاع ولا يمكن أن تكون هذه المعاملة التي تعرضوا لها فلسفة حكم أو شعب، ولكنها اجتهاد موظفين فعندما تتوتر العلاقات بين قطر وقطر فإن هذا التوتر يصل بسرعة إلى الموظفين الصغار، وخاصة من كان منهم في مجال الخدمات فيتحولون إلى ثور وأسود . . فيلقي أبناء القطر الآخر إذا كان لهم مصلحة ما، أو حتى مجرد مرور بالديار، أسوأ معاملة، وعندما يتباوس الزعماء بتغيير المعاملة بين رعيتهما . .

فلماذا تفقد الشعوب العربية أصالتها، وتتنكر لتراثها العريق بهذه السهولة وهي التي اشتهرت بالكرم ونصرة الغريب . . والأخذ بيد الضعيف والمظلوم!! ظلت هذه



الأسئلة الحائرة التي لا تجد جوابا مقنعا بين الزملاء الثلاثة . . وأحسوا أنهم يقطعون أرضا لا ترحب بهم، ولا تبسم لهم . . لماذا؟ اللغة واحدة، التراث العريق يجري في أوصالهم . . والإيمان بضرورة التكاتف والتآزر لبناء مستقبل مشرق . . وإلا فالضياح . . إذن لم كل هذا الإهمال والتجاهل وقطع حبال المودة بهذه الصورة الكئيبة . . وتغليف كل أمر بالجفاف والبرود؟! هذه هي الصورة الرسمية التي قابلتهم . . أما الصورة الشعبية فكانت أفضل بكثير!!

هل ينكصون على أعقابهم . . أم يستمرون إلى غايتهم . . كان المتزلاوي أول المقترحين للعودة . . ثار حامد الجوهري في وجهه، ووصف اقتراحه بأنه دعوة للهزيمة، وهروب من الحلبة . . فإذا كانت السلطة تود هذا، فإننا شعب واحد ويجب أن نؤكد هذا، ونصر عليه . . وهاج وماج وارثجل أشعارا، وضحك عوني وظل صامتا ولم يعلق بشئ.

واستمرت الرحلة، وأنستهم أناقة فندق "الرمادي"، والمعاملة الطيبة من متعهدة الفندق . . كانت ليلة حافلة أنستهم مشقة الرحلة . . ولهيب الشمس في الصحراء التي بدت لهم متجهمة وقاسية . . وظهرت الإستراحة كواحة هائلة وسط هذا اللون الأصفر المترامي على امتداد البصر وبدت صاحبته بجمالها ورقتها كنخلة من نخيل البارحي اللذيد الشهير بالعراق مما أهاج شاعرية الجوهري فانطلق في قصيدة رائعة يصف فيها المكان وصاحبته وكأنها حورية هبطت من الخلد في لحظة من لحظات انفتاح السماء على الأرض، مما أثار لبني وأزعجها، فصرحت بأنها أخطأت بزواجها من مجنون لا يرى امرأة جميلة إلا وينطلق خلفها بموسيقاه ومزاميره . . كل هذا والجوهري سادر في غيه، وصاحبة الفندق سعيدة به وبما يقول وتحاول أن تستعرض جمالها وفتنتها بأسلوب ملفت، وغدت الإستراحة تضم غريمتين تتنافسان على الشاعر التائه . . وأصر الجوهري

على قضاء ثلاثة أيام بالإستراحة بحجة أنه متعب ولا يستطيع مواصلة القيادة في هذا الجو الحار، ولم يسلم من لسان لبني التي اتهمته بأنه زثر نساء، ولعابه يسيل عندما يرى أية امرأة حتى ولو كانت عاطلة من الجمال.. وندبت حظها لأنها ارتبطت به..

وانطلقوا بعد الأيام الثلاثة، وأصرت صاحبة الإستراحة على أن لا يغادروا قبل تناول إفطار فاخر أشرفت عليه بنفسها.. وكأنها تطلق آخر سهم في حورتها على لبني وقالت لها ضاحكة:

- إسمعي يا مدام.. أنا على استعداد لدفع خلو مهما كان لو تنازلت عن هذا الجوهري..

ثم تطلق ضحكة دافئة وتتابع:

- إنه جوهري حقا، يصوغ الدر كأعظم صائغ، إنه عمر بن أبي ربيعة في ثوب جديد.

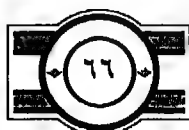
وبعد أن يغادروا تقول لبني في صوت سمعه الجميع:

- عليك اللعنة و على عمر بن أبي ربيعة.. ومن تشبه به.

ويتلح الجوهري ما سمعه ضاحكا.. ويقول:

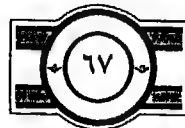
- ليس هناك غير لبني واحدة.. هي دنياء، وجنتي الموعودة، وهي التي مزقت شراعي بسهام عينيها لأبقى أسيرا على أرض الكويت طول حياتي، وأنسى ربي وأهلي.. آه من الحب يا قوم، إنه قدرني مع لبني العزيزة!!

وعندما وصلوا إلى استراحة "الإتش فور" في الأردن لم يكن في انتظارهم امرأة جميلة كما في الرمادى بل كان رجلا صامتا لا يتكلم كثيرا حتى أن الجوهري هجاه في أبيات أظهر فيها لوعته على الجمال الممتلئ بالحوية، وأسف للقاء البرود والصمت



والجفاف .. ولعن الأيام لأنها لا تبقي على الجمال ، بل تحاربه حتى يزوي أو تحيله إلى
قبح أو ذكرى حتى قال:

- يبدو أن القبح في الدنيا أقوى من الجمال لأنه مصير كل شيء وأما الجمال فهو
حالة مؤقتة أو طارئة، أو زائلة ..



وكانت نقطة جوازات أخرى تسبق "عمان"، كان التفتيش سهلاً وهيناً.. ولكنهم سحبوا جواز عوني لمراجعته في عمان قبل الدخول.. الليل يزحف سريعاً.. هل يمكن أن يترك الزميلان صاحبهما على قارعة الطريق ويمضيان؟! مستحيل.. فامراته حامل في أيامها الأخيرة.. شكت من الألم في استراحة "الرمادى".. وقالت إنها ستضع مولودها في سوريا، فلها أقارب هناك.. فقالا لرجال الحدود في رجاء:

- يا جماعة أرحموا الرجل وزوجته..

لقد اسمعت إذ ناديت حياً.. لقد صموا آذانهم.. ولم يسمعوا الرجاء، فالتعليمات أهم من أي شيء..

وتتعالى صرخات المرأة المسكينة، وتنتقل زوجتا محمود المنزلوي و حامد الجوهري إلى سيارة عوني النفيسي.. وتستغيثان.. المرأة في حالة وضع.. ماذا يفعلان.. جلس عوني قريباً من السيارة لا يرى أحد ملامحه.. أيكي أم يضحك؟ لازال في وعيه أم فقد.. بماذا تحدثه نفسه!!

اندفع محمود وحامد إلى الحاجز الملقى على الطريق، وأخذوا يصيحان.. جاءهما الموظف بارداً هادئاً:

- ماذا تريدان؟ ألم أصرح لكما بالدخول؟

في صوت واحد يجيبان:

- ونترك عوني في عرض الطريق وزوجته في حالة وضع؟ هل أذنب لأنه فلسطيني؟! ماذا جنوا في حق البشرية.. حتى يعاملوا بهذه الطريقة الهمجية؟!

- خطة تريدان بها أن تدخلنا صاحبكما إلى هنا قبل أن نتحقق من شخصيته.. إن اسمه فيه شبهة، فقد يكون من ممنوعين من الدخول.. فكيف أصرح له قبل أن تأتيني الموافقة من عمان.. هذه الحيل نفهمها جيداً..



- ولكن المرأة في حالة وضع!!

- ومن قال لك أنني قابلة؟

قالها ضاحكاً ساخراً..

وعادا يائسين؛ وافترشا الطريق كعوني دون كلام، وسمعوا بكاء طفل مولود،
وانطقت زغرودة في ظلام وكأنها سوط يلهب الظهور.. هل بقي شيء يسر بعد هذا
الذي حدث!!

وأعقب هذا صراخ جديد، وكأنها ولادة جديدة أعقبها صوت المولود..

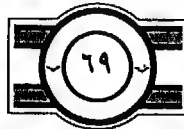
انطلق محمود المنزلاوي صوب سيارة عوني ليستطلع الأمر و حامد الجوهري إلى
رجال الحدود يشتم ويسب من اخترع الحدود بين البشر..

وأخذ يردد: سحراً لك أيها الإنسان، لقد تفوقت على الشيطان نفسه في الإيذاء
والنذالة، إن الحيوان لا يقتل لمجرد القتل.. ولكن الإنسان يفعل هذا، ولا يضع القيود
على حدود الغابة فهي ملك مشاع للضعيف والقوي.. ولكننا أمام حاجز لانستطيع
تخطيه..

أخذ الجوهري ينادي وضاعت توسلاته وصرخاته في الهواء..

سمع زغرودة أخرى.. هرول نحو عوني.. لم يتحرك من مكانه.. اتجه إلى
المنزلاوي الذي أثاره صوته عبر الظلام.. عرف أن هناك وليد ثان.. توم.. فلتفرح
ياعوني بأولادك رغم ماحولك.. ولكن هل يمكن لبشر أن يسعد في موقف كهذا؟!
ولماذا يأتي بآدميين ليس لهم حقوق الإنسان. فما سبب كل ما يحدث بيننا؟!

هل الإستعمار الذي قسمنا إلى شرائح، ومزقنا قصاصات وأشلاء.. وعمق ما
بيننا من فواصل، بل وأقام الجدران بيننا، واستعدى بعضنا على بعض ليزرع الكراهية
وهي نبات شيطاني لا يموت بسهولة!!



أم أن جهلنا وتخلفنا هذه القرون الطويلة أعادنا إلى عصور القبائل المتناحرة المتصارعة على كلاً أو شبر من الأرض يسكنه أبناء عمومة أو إخوة، وهل يضير إذا كان تابعاً لهذا القطر أو ذاك. . . ولكننا في عصر التجمعات الكبيرة نحاول التشرذم والتفرق. . . أو اغتصاب المسالم قوة واقتداراً، أو الإستيلاء على ما في يده حتى ولو كان شحيحاً. . .

بدأت تبشير الصباح. . . ولا زالوا على وضعهم الذي باتوا عليه. . . وأخيراً وقف عوني وقد احمرت عيناه من السهر والإجهاد. . . ومد يده مصافحاً المنزلّاي ثم الجوهري وهو يقول في صوت مبجوح:

- سأعود ثانية.

- إلى أين؟

قالها في صوت واحد. . .

- إلى الكويت، فهي أبر بي من غيرها. . . وهل لي ملجأ سواها!!

وعلمنا منه أنه سيعود إلى استراحة "الإتش فور" ويستريح بها بضعة أيام حتى تسترد زوجته صحتها. . . ثم يعود إلى الكويت. . .

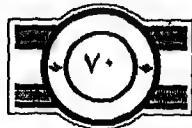
وأصر المنزلّاي والجوهري على إصطحابه إلى "الإتش فور" ولم ير فائدة في إقناعهما بمواصلة السفر وتركه يعود وحده. . .

وعندما ودعاه عائدتين قال له المنزلّاي وقد حاول أن يبتسم في وجهه:

- ربنا أنعم عليك بولد وبنت في هذه الأزمة ليخفف عنك قسوة البشر. . .

ويعقب الجوهري قائلاً:

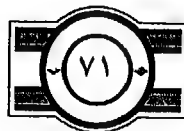
- اقترح عليك اسمين: حاجز، وعودة للوليد. . .



ويھز عوني رأسه مؤمنا:

- أحسنت الاختيار يا جوھري . .

* * *



بدا الطريق مملاً، والوجوه عابسة حتى وإن ابتسمت، ورغم جمال الطبيعة ورقتها في بلاد الشام وفي لبنان بعد هذه الرحلة القاسية.. إلا صورة الليلة التي باتاها على حدود عمان.. وصورة عوني في حزنه وصمته، وصراخ الوليد في ظلام الليل.. لم تفارق هذه الصور خيالهما، كأنهما يرونها في الطعام والشراب، وعلى الطريق وكأنها معلقة على حائط غير مرئي تطل عليهما باستمرار حتى في أحلامهما..

وفجأة يقول محمود المنزلوي وهما يتناولان طعام الغداء وسط مروج رحلة وتمثال شوقي غير بعيد منهما، وخرير الماء العذب يملاً أسمع كل من يرتاد المكان:

- أنا لا أحس بأي بهجة يا جوهري رغم هذا الجو والمناظر الساحرة.. لقد أخذها عوني معه، وعاد إلى الكويت.

ويهز الجوهري رأسه موافقاً، وكأن لسانه توقف عن الكلام. ويواصل المنزلوي:

- لقد قررت العودة، فلن تهناً لي الحياة حتى أعرف ما حدث لعوني وطفليه.. سأعود إلى الكويت من هنا.

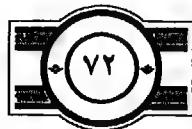
ويصمت الجوهري وكأنه لم يسمع، فيقول المنزلوي شبه محتج:

- مالك لا تتكلم يا أخي.. هل أصابك الخرس! لقد قلت لك سأعود.. ولا أملك إذا كنت تريد أن تزور والدتك.. فواصل رحلتك أما أنا..

- اسأل لبنى يا منزلوي.. ولا تزعجني أكثر من هذا، فلم تعد لدي مقاومة، ولا قدرة على الكلام.

ويفهم من لبنى أنها مضطرة للنزول إلى القاهرة لعرض نفسها على طبيب مشهور..

ويفهم محمود المنزلوي ما تود أن تقول لبنى دون أن تصرح فقد مر عامان على زواجها من الجوهري، ولم تظهر عليها بوادر الحمل..



وفترق الزميلان أحدهما يتجه شرقا والثاني يتجه غربا، وكلاهما يحمل على كاهله تجربة مرة، وحقيقة مخجلة، وهي أن العرب لا تسعهم أرضهم، وإن وسعت كل الملل والأمم.

وعاد الجوهري ولبنى من رحلتها العلاجية بالقاهرة يائسين فقد أخبرهما الطبيب إنه لا بد من عملية لزرع الجنين في رحم الأم.. وأن هذه العملية تكاليفها باهظة.. ولا يقدر عليها سوى الأثرياء.. فضلا عن أنها لا تجري إلا على أيدي إخصائين في لندن أو باريس أو الولايات المتحدة.. ويقول الجوهري ساخرا:

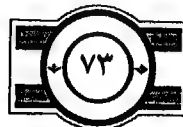
- عندما لا تطلب الأولاد يولدون على قارعة الطريق، وعندما يطلبون.. تذهب لتبحث عنهم في شوارع لندن وباريس وواشنطن ولكنك لا تجدهم بسهولة، وقد تدفع كفاح عمرك ولا تراهم.

ثم يتساءل:

- هل الأولاد ضرورة لجري وراءها في هذا الزمن الذي نسي الناس فيه عواطفهم وإنسانيتهم.. نأتي بهم ليتذوقوا جفاف الحياة، وقسوة البربرية الحديثة.. حيث تخرجك من دارك ومرابعك بقوة السلاح.. وتأخذ اللقمة من فمك لتعطيها لغيرك!! لقد أدرك المعري هذا في زمن كان أقل قسوة من هذا الزمن الذي نعيشه.. فأضرب عن الزواج والإنجاب، وقال: هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد!!

ويقول له عوني باسم:

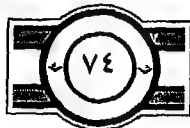
- أنا أعرف أنك تعينني.. ولكن الأبناء زهور هذه الحياة وأنت أيها الشاعر طالما رددت هذا، وسمعتك منك، ولكنك واقع تحت تأثير الظروف التي مررت بها منذ سنوات، وإلحاح حبيبك لبنى.. وضيق ذات اليد.. فيدك مبسوطة وخالية دائما، فقد تغيرت طبيعتك منذ أن تزوجت لبنى.. أليس كذلك؟



ويصمت الجوهري، ثم يهز رأسه موافقا . . فيقول المنزلاوي :

- كما سمعت . . والعهدة على الراوي، أن الكويت لها مركز طبي موجود في لندن . . ويقدم المساعدة الطبية لأبناء الكويت وكل من يعيش على الأرض الكويتية من العرب وأبناء مجلس التعاون العربي في المقدمة، وهناك مساهمات من شخصيات وبعض الوزارات لكي يقوم هذا المركز بأداء واجبه للقادرين وغيرهم . .

وما على طالب المساعدة الطبية إلا أن يحصل على تقرير طبي من وزارة الصحة بأن علاج الحالة ليس موجودا هنا . . وعندئذ يصبح الطريق ممهدا إليه . . وحظك في رجليك كما يقول المثل . . .



وطارت لبنى من الفرحة عندما فرغ الأطباء من التقرير، وعاد حامد الجوهري بتذكريتي السفر.. إنها تقترب من آمالها وأحلامها وكان في وداعهم جميع زملاء حامد الجوهري ومن بقي من أعضاء هيئة تدريس ثانوية الشويخ.. وباقية من الأدباء ومحبي فنه وأسلوبه وتلاميذه..

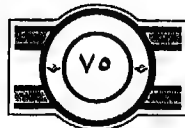
وما كاد يصل إلى لندن حتى ترك لبنى في "الأوتيل" وانطلق يبحث عن حديقة "هايد بارك"

إنه يريد أن يرى الحرية ويلمسها، ولو على ظهر أرض غير أرضه، وأناس غير ناسه.. إن الحرية في نظره كالماء في الأواني المستطرقة ستصل إلى كل جزء على الأرض مهما تأخر وصولها ولكن سيأتي اليوم الذي ستجد طريقها.. إن الإنجليز وإن كانوا مستعمرين فيما مضى إلا أنهم أيضا قد أعطوا العالم دروسا في الحرية، واحترام الحكام للشعوب.. وماكادات الفرصة تتاح له حتى ألقى قصيدة يتغنى فيها بالحرية والديموقراطية، وأكد على ضرورة احترام حقوق الشعوب المغلوبة ومعاونة الشعوب المضطهدة.. فالحرية لا تتجزأ وليست من حق شعب دون شعب.. حتى تنتهي الصراعات في هذا العالم، وينطلق الجميع إلى بناء مجتمع عالمي يسعد فيه الإنسان ولا يشقى..

وأنه يجب أن يكون من مهام الأمم المتحدة انقاذ الشعوب من ديكتاتورية حكامها..

وماكاد يرجع إلى الفندق حتى أخذ يحكي لزوجته رحلته إلى "هايد بارك" وخطابه فيمن تجمع من الناس ممن يعرفون العربية وغيرهم فالناس يتطوعون بالترجمة الفورية.

وتضحك من كل قلبها وتقول مازحة :



- لماذا نبحث عن طفل مادمت أنت معي . هل تتصور أن كلامك هذا له تأثير على أحد . . أو سيأخذه أحد مأخذ الجد !!

- إنه ليسعدني أن أكون طفلا . . إن حديثهم دائما بريء، وصريح ومباشر . . لا يعرفون الالتواء مثلك . .

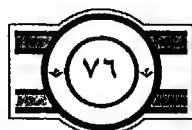
- مثلي أنا ؟

- نعم مثلك . . قولها صريحة أنك لا تستغنين عني ولو لساعة واحدة . .

وتضحك من قلبها . . هائلة سعيدة بجنونه وطفولته كما كانت تردد دائما . .

وانتقل حامد الجوهري ولبنى إلى مدينة "مانشستر" في جنوب إنجلترا لإجراء العملية في كلية الطب التابعة لجامعة المدينة . . طبقا لترتيبات المركز الصحي الكويتي في لندن . . وبعد أن أجريت له بعض التحاليل، وأخذ منه السائل المطلوب لتلقيح البويضة أطلق سراحه ليمضي على راحته في مروج ودروب هذه المدينة الجميلة . رحل عنها العامة والخاصة التي تعطي صورة أخاذة لسحر الطبيعة، واستغلال الإنسان، التحضر هذا السحر الإلهي لتجميل حياته . . وأدرك أن الإنسان قادر على أن يجعل من الحياة فردوسا إذا أراد . .

كان مسكنه هو ولبنى دورا في فيلا . . نزل وحده مبكرا ليرى الطبيعة وهي تخلع غلالة النوم . . كعادته كل صباح . . كم يسعده أن يخرج إلى الطرق ليرى سكان الحي، وهم يركضون في الطرقات التماسا لرياضة صباحية . . يتنفسون الهواء البكر . . وبينما يعبر الساحة الخضراء رأى الجمال النائم المتمدد على البساط السندسي . . وقد احتضنته أشعة الشمس الرقيقة فصاح : أفروديت . . لا شك أنها أفروديت هبطت لفورها من عرشها . .



وتقدم منها وسألها أنت بشر أم أنك أفروديت التي تحدثت عنها أساطير اليونان!!
وكما كانت تضحك "فاتنة" الرمادى سعيدة بإطرائه ضحكت فتاة "مانشستر"
وهي أكثر سعادة ومرحاً..

قال وهو يحكي للبنى :

- سألتني من أي بلد أنت ؟

ولما أجبتها تابعت أسئلتها :

- وما مهنتك؟

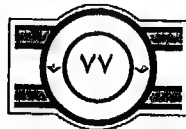
ولما عرفت أنني شاعر عجبت لهذا فهي تظن أن الشعر والفن من اختصاص
الأوروبيين وحدهم.. قلت لها:

- إنكم تتصورون أننا حيوانات سائمة لا مشاعر عندنا ولا عواطف، إن الشعر
ياسيدتي هو سجل العرب، وموطن نبوغهم.

وتقطع عليه لبنى حديثه ثائرة متمرة:

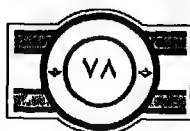
- لا بد من وضعك في قفص حتى تكف من ملاحقة النساء.

- آسف لا بد أن تضيفي لها كلمة الجميلات حتى تعبري عن الواقع بدقة يا
سيدتي.. فالشعر ليس صندوق. زبالة يوضع فيه أي شيء.. ولن أحكي لك بقية
الحديث بعد أن أهدت الشعر.. وأنت لست عادية ولكنك فنانة، وخريجة فنون جميلة
كما أنني لا أنظر إلى الجمال نظرة حيوانية حقيرة.. وإنما أنظر نظرة الهائم المأخوذ في
ملكوت الخالق المتمكن من روعة الخلق والإبداع، إن الجمال هو قوام هذا الكون وسره،
ويتوقف على نظرة الإنسان له وطريقة تعامله معه.. فإذا أدركت سره اندفعت تبحثين
عن الجمال في كل ما حولك.. رأيت الحداث حول البيوت والهالة التي تضيفها على



المبنى والمكان، وكيف نقف أمامها مشدوهين معجيين.. مع أن هذه الحقائق لو لم يفكر أصحابها وعشاقها أن يزرعوها أو ينسقوها لما كانت سوى أرض كالحلة جافة.

حتى في مجال السياسة.. فإذا لم يحس الإنسان عظمة وجمال الحرية ظل عبدا ذليلا.. وفي مجال الخلق والإنشاء لما بنى هذه القصور الباذخة، والتماثيل الرائعة ولما خطط وأبدع.. الجمال يا سيدتي هو قوام هذا الكون دون منازع.. فلا تنزعجي إذا عبرت عن إعجابي بأبيات لا أملك سواها..



احتفل الزملاء بعودة حامد الجوهري من لندن وكان فيصل الثنيان صاحب الدعوة وحكت لهم لبنى شطحاته في "لندن" و"مانشستر" وجلسه في سوق الأخيرة على مقاعد أعدت لراحة المرتادين لهذا السوق الذي يضم فروع أشهر المحلات العالمية.. وكان أهم ما استلفت نظره عاملات المحال وهن غاديات رائحات.. أجسام رياضية رشيقة تدق بلاط الساحة-كما يقول- وكأنهن أفراس رهان..

وظل يردد على مسامعي أنه لا ينظر إلى الجمال نظرة الذئب إلى الفريسة، ولكنه ينظر إليه نظرة المتأمل في صنعة الخالق وإبداعه... حتى لا أتابع حركاته و سكناته أو أحول بينه وبين جنونه وولعه الأخرق بمشاهدة الجميلات.

وروت لهم كيف تركها في غرفة العمليات بالجامعة، وسافر في رحلة إلى مسقط رأس الشاعر الإنجليزي "وليم شكسبير" وادعى أن اسمه الحقيقي "شيخ صابر" وأنه تحول إلى "شيك صابر" ثم حرفت إلى شكسبير..

ولقد جلس أمام تمثال شكسبير يقرأ له الفاتحة، ولما سأله الموجودون عما يفعله أخبرهم بأنه يقرأ الفاتحة، وبين لهم أن الفاتحة هذه تخفف عنه ذنوبه، وأنه يشك في أن يكون له ذنوب، فالشعراء كائنات رقيقة لا ترتكب ذنوبا فهم بين البشر والملائكة، وإن كان بعض الناس يتصور أنهم أشبه بالأطفال مستهيناً ببراءتهم، وعدم قدرتهم على المداينة والرياء.

وأصر على أن يبحث عن أحد من نسل شكسبير أو أقاربه وذهب إليهم يهنتهم لأنهم ينتمون إلى هذا العبقري، وأخذ على الإنجليز أنهم لا يقدسون العباقرة في الأدب أو العلوم والفنون كما نقدر نحن أوليائنا، ونقيم لهم الأضرحة، شعوب ناضجة-كما يقول- ولكنها لا تقدر أبناءها من المخترعين والحكام كما نفعل!! وأنه علينا أن نرسل بعثة تنبهم إلى هذا الأمر الخطير..



فشكسبير يجب أن تقام له الموالد وتقرأ فيه الأناجيل على اختلافها والميكروفونات على آخرها، ويجتمع الناس هناك ويأكلون السمك والبطاطس في مولده.. كما نجد الحمص وحب العزيز والبطاطا في مولد السيد البدوي والمرسي أبو العباس.. وأصر أيضا على أن يزور قبر «كرومويل» قبل أن تغادر لندن..

- لماذا يا جوهري... ومن كرومويل هذا؟!

- أنا لم أكن أعرف أنك بهذا الجهل السياسي، وبتاريخ الأمم والشعوب!!

ثم يتابع بعد صمت قصير:

- إنه يا سيدتي الرجل الشجاع الذي وقف أمام الملكية العاتية منذ ما يقرب من أربعة قرون ليقول للملك قف مكانك.. إن للشعب الحق في أن يحكم نفسه بنفسه، وأنتك لست السيد المطلق لتقول ما تشاء وتفعل ما تريد ولكن هناك دستور بيننا وبينك لا تتعده.. فأنت تنفذ وتشرف على ما يريده الشعب فأنت من الآر رمز له.. ولا سلطان لك أكثر..

وكانت معركة.. وانتصر كرومويل والشعب.. ولم يكن الانتصار للشعب الإنجليزي وحده.. ولكن كان الانتصار لشعوب العالم، وعرف الناس في هذا الكون أن الديمقراطية هي حكم الشعب لنفسه.. ألا يستحق هذا الرجل أن يزار، وأن ندعوا الله له!! ونأكل على روحه البطاطا!!



مرت الأيام وبدأ الجنين يكبر ويتحرك في بطن لبنى . . وهي والجوهري يكادان يطيران من الفرح، ويعدان المكان والأثاث والملابس والمستشفى الذي ستم فيه عملية الوضع، وكان الجوهري رغم حرصه على النقود . . إلا أنه لم يعترض على أمر، وكان يقول: الناس يجمعون المال، ويحرصون عليه من أجل أولادهم، بل إن بعض الناس يبالغون في الحرص، ويحرمون أنفسهم من متع الدنيا من أجل اكتناز أموال لأولادهم وكان يضرب المثل بشري بالغ الثراء . . فيقول إنه كان يقسم السيارة إلى نصفين . . رغم غناه، وكثرة أمواله . . ثم رأيت من استمتع بهذا المال فقد مات بعده ابنه، وورث المال ابن ابنه، وكان ضعيفا أمام زوجته واستولت على المال وبددته . . ومع هذا فقد ظل الناس على طريقتهم؛ ورغم ما رأيته من بدخ هذه المرأة وجنونها إلا أنني سأحاول أن أكون لابني ثروة تعينه في هذه الدنيا المادية . . إنه حلمي أنا ولبنى العزيزة التي كان مهرها قصيدة . . رغم مركزها وأصالتها . .

وكما يقول المتزلاوي دائما إن الكويت بانصهار أبناء الأقطار العربية فيها حلم جميل . . فإن حلمي ولبنى جزء هذا الحلم الكبير.

وبدأ يؤسس في غرفة المولود مكتبة يزودها بكل ما يحتاج إليه طفل يستطيع التمييز حتى سن الخامسة . . وبعدها نفكر في الرحلة التالية . . وملاً حوائط الغرفة بصور الأطفال من كل شكل ولون تعميقاً للمؤاخاة بين بني البشر . . ويضع تحتها عبارات تؤكد هذا الإخاء، ويقول إن الأفكار الجميلة والقيم النبيلة أو الشريرة هي نتائج لما يزرعه البيت أولاً ثم المدرسة والمجتمع فيما بعد . . .

وكانت لبنى لا تقل فهما لرسالتها كأم وكمرية، فأخذت في توفير كل ما يلزمه من ملابس، وأبت إلا أن تصنع كل شئ بيدها، ولبمساتها الفنية هيأت الغرفة بطريقة تتفق مع ذوقها الرفيع . . السرير هنا . . وخزانة الملابس هناك . . حتى البزازات



والحفازات كانت في أمكنتها، وتراكت هدايا زميلاتها وصديقاتها حتى ملأت غرفة مجاورة أطلق عليها غرفة التجهيزات ..

ونزعت لبني ورقة النتيجة لليوم الثاني من أغسطس وقالت وكأنها تزغرد:

- لم يبق إلا مائة وخمسون يوما ويتحقق الأمل أيها الشاعر المغرد ..

ويقبلها في جبينها قائلا:

- إنني أحسد نفسي يا لبني على كل شيء من يوم أن تزوجتك .. كانت قصيدة الأمل .. إنني أعتبرها أغلى قصيدة في الوجود .. فالشعراء كانت عطاياهم دراهم ودنانير .. أما أنا فكانت جائرتي قلب ينبض بالحب والإخلاص، وما أبعد الفرق بين هذا وذاك، ونسيت أهلي ودياري فأنت أهلي والكويت ديارى لا فرق بينها وبين "دبي" .. فأنا وأنت لمجد الوحدة العربية، ومجلس التعاون معا!!

وتركها ونزل إلى عمله في النادي الصيفي، ومقره مدرسة "الرازي"، وسار في طريقه من لؤلؤة المرقوق حتى وصل إلى شارع بغداد .. وعند أوله وجد صفا من السيارات تقف أمامه، حاول أن يرجع إلى الخلف ولكنه وجد أن خلفه من السيارات صف أطول مما أمامه .. ما الذي يحدث اليوم؟! إنه شيء غير عادي، وتحركت السيارات ببطء شديد حتى وصل إلى مجموعة من الجنود يلبسون "الكاكي" ولهجة غربية تأمره بالنزول، ويأخذ الجندي منه دفتر السيارة ورخصة القيادة، ويذهب بهما إلى سيارة تقف غير بعيد، وعاد بعد لحظات .. وهو يقول في صوت آمر:

- الحين امض .. ولكن في ظرف أسبوع تراجع المرور لتغيير هذي الرخص الخاصة ..

لم يصدق الجوهري ما يسمع، وظن أنه في حلم .. فأجاب في انفعال:



- كيف خايسة؟! والرخصة لا زالت سارية المفعول، ومجددة من ثلاثة شهور!!

في لهجة قاطعة يقول الجندي:

- اغلق فمك هذا.. وإلا مزقت أوراقك، وألقيت بك في السجن.. أتدري

من نحن؟! نحن المغاوير أبطال القادسية..

أخذ أوراقه، وانطلق في طريقه.. ما هذا الذي يحدث.. نحن المغاوير.. أبطال

القادسية.. الغاز هي أم أنني أصبحت بطيء الفهم.. وما دخل السجن في المرور!!

الجيش كان على الحدود وليس في الشوارع والمدن!!

وما كاد يصل إلى مدرسة الرازي حتى اكتشف أنها خالية حتى من الفراشين، إنه

نائم بلا شك.. إن ما يراه اليوم مختلف تماما.. سيكون اليوم إجازة ولا يدري! إن ما

يراه ليس حلما أو إجازة ولكنه كابوس مزعج..

اتصل بمحمود المتزلاوي في مركز كيفان الصيفي.. لم يجبه أحد.. اتصل

بالوزارة.. رد عليه صوت قاس سأله عن اسمه.. وعندما أجابه قال له بصوت آمر:

- ماكو مراكز صيفي ولا شتوي.. إذهب إلى منزلك ولا تخرج منه..

وأعقب هذا طلقات مدافع، وأريز طائرات تملأ الجو.. عاد إلى المنزل مأخوذاً،

وتكرر ما سمع فأدرك أن أمرا خطيرا قد حدث.

ولم يكذ يغلق بابه حتى هرع إلى لبني ليخبرها بما رآه ولكنه وجدها نائمة بعد أن

قضت ليلة ليست مريحة بسبب الحمل، وأسرع يتصل بمنزل محمود المتزلاوي، فقال له

في صوت حار في تحديد لهجته، بين الحزن والبكاء والاستنجاد..

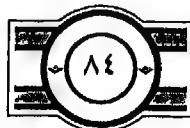
فأسرع إليه وما كاد يراه حتى قال والدموع تملأ عينيه:

- تصور يا جوهرى.. أن الكويت تحت وطأة الاحتلال..



ويقول الجوهري مفزعا:

- احتلال.. . أتقول احتلال.. . ومن يحتل الكويت وهي في حزن أشقائها من الشمال والجنوب والغرب.. . أما الشرق فالخليج، فمن أين يأتيها الاحتلال!!
- يا جوهري افهم جاءها الاحتلال من الشمال أي من العراق.. .
- إنك تهذي يا محمود.. . كيف يتأتى لشقيق أن يحتل شقيقه وفي وقت تتنازعنا الأطماع الخارجية، ويقفون لنا بالمرصاد ليجدوا أي مبرر للوثوب علينا.. . إن أي مجنون أحمق لا يمكن أن يفعل بنا وبنفسه هذا فالتائج وخيمة.. . والغزو أصبح من مخلفات عصور ماضية، وأن الذين يفكرون بهذه الطريقة متخلفون حضاريا.. . ويعيشون في وهم قتل قبلهم أعتى الجبابرة.. . مرورا بالتار ونابليون وهتلر!!
- كما أن الكويت كان سندا للعراق في أزماته من يوم أن حباها الله بثروة النفط.. . لم تبخل على أحد، بل كانت سبابة كريمة مع كل طارق لبابها.. . بل ومع من لم يطرق بابها من أشقائها.. . فوق أنها دائما رسول سلام ومودة بين المتناحرين من الأقطار العربية.. . فهل يكون جزاؤها حصادا مرا لقاء كل هذا بل وأكثر من هذا!!
- كانت بيوت محمود المنزلاوي، وحامد الجوهري، ومعاوية الحموي وفيصل الثنيان متجاورة في السالمية أما بيت كاظم السامرائي فكان في أبرق خيطان وعوني النفيسي في حوّلَى.. .
- اتفقوا على أن يجتمعوا في منزل فيصل الثنيان، كما كان موعد اللقاء الواحدة صباحا.. . وكان أول المتحدثين فيصل الثنيان إذ قال في صوت باك:
- أرايتم يا إخوان ماذا حدث للكويت الحبيب.. . إن ما حدث طعنة في الظهر، وتمزيق لشرف العروبة، وسقطة لن يفيق منها العرب بسهولة.. .



هل يكافأ الكويت بعد كل تضحياته ومساندته للعراق في كل موقف بالاحتلال.. إنني لا أجد الكلمات التي أعبر بها عما حدث.. وعن الجرح الذي أصاب الكويتيين جميعاً بل أصاب العرب كافة.. إنني لا زلت أتصور أنه مجرد كابوس، وأن الصورة ستتغير بين لحظة وأخرى..

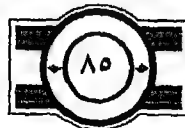
ثم سكت بعد أن اختنق صوته

وتحدث كاظم السامرائي فقال في جدية:

- لا أدري ماذا أقول يا إخواني.. فماذا يفعل المواطن إذا ابتلي بحاكم من هذا الطراز.. ليس ذنبي يا إخواني أنني عراقي وإنما هو ذنب حكام العراق.. إن التهديد بغزو الكويت كان يأتي دائماً عقب الوصول إلى قمة إفلاسهم السياسي كما حدث من عبد الكريم قاسم.. وهذه وسيلة غبية كان يلجأ إليها الطغاة في العصور الماضية عندما يفلسون سياسياً أو اقتصادياً، ويرون أن الدائرة ستدور عليهم، وأن يد الشعب ستطوّلهم يغارلون أحلام الغوغاء بالغزو والسيطرة على شعوب أخرى..

أموال ستصل إليهم بلا كد أو تعب، وجوار وعبيد بلا عدد وسيصبحون السادة لهذه الأمم، والحكام لهذه الأقاليم.. أسلوب بال عتيق لا ينفع مع منجزات العلم والتكنولوجيا الحديثة، والمصالح المشتركة بين دول العالم.. فهذا ليس أكثر من إفلاس داخلي بعد هذه الحرب الغبية التي امتدت لأكثر من ثماني سنوات بين العراق وإيران من غير سبب مفهوم أو معقول.. وكان من الممكن تسويتها بالطرق الدبلوماسية بين شعبين متجاورين.. اختلطت دماؤهما بالنسب والإقامة الدائمة المتبادلة منذ قديم الزمان..

وانتهت هذه الحرب بأفلاس الجانبين دون غنم.. فلماذا لا نسرق مافي جيوب العقلاء من حولنا؟ بل لماذا لا نغتصبهم؟ وهذا ماحدث!! وأنا كعراقي عشت هنا، كمواطن لي كافة حقوق المواطن الكاملة.. أرفض هذا العدوان الآثم و أبغضه.. فهو



خطأ جسيم . . فشعب الكويت شعب عربي أصيل شقيق ، ولا أرى مبررا سوى الإفلاس السياسي والاقتصادي . .

ويقول معاوية الحموي . . إن ماحدث قد حدث فكيف نتصرف إزاءه . . وإذا كان حاكم العراق قد غرته حشوده وأسلحته فلإن للشعوب أساليبها في الدفاع عن نفسها ، وهي أسلحة مجربة وحاسمة إنها حرب العصابات استطاعت بها روسيا أن تهزم أعتى الجيوش الألمانية في عهد هتلر . . التي هزمت أوروبا بمدافعها وطائراتها ، ولكن المقاومة الشعبية سحقته ، فاطمئنوا ، فالغزو قد يكون سهلا . . ولكن الأهم هو القدرة علي البقاء ، والمقاومة الشعبية سلاح فعال في مثل هذه المواقف . .

أما محمود المنزلاوي فيقول في هدوء :

- يا جماعة إن هذا الإحتلال مؤقت مهما ظن المعتدون أنهم قد حققوا انتصارا أو غزوا في غفلة من الزمان . . وأكبر خطأ يرتكبه حاكم العراق إصراره على البقاء على أرض الكويت . . فالإقتصاد العالمي تحكمه توازنات ومقاييس تدخل فيها مصالح بقية الشعوب التي تعيش معنا على هذا الكوكب ولو كانت بعيدة عنا ، ولابد أن تكون لها رأي في هذا الإحتلال ، وستناهضه وتقاومه لأن وضع الكويت بثروتها النفطية يعطي لها امتيازاً ووضعاً خاصاً ، كما أن العالم أصبح قرية صغيرة ومايحدث في مكان ما يؤثر على الآخرين ؛ فالكويت ليس وحده في هذا العالم ، ولن يكون لقمة سائغة للطامع الباغي . . وهذا الإحتلال الذي تم بغطرسة وغباء سيمزق العرب شر ممزق . . وسيضرب التضامن العربي في مقتل . . فكل تصرف مهما كان فجاً أو سخيفاً سيجد من يؤيده حتى ولو كانت الكثرة ترفضه . . والنتيجة هي انهيار التضامن العربي . . وانهيار مؤسساته . ، وسحب البساط من تحت أقدام الجامعة العربية أكبر هذه المؤسسات . .

واندفع حامد الجوهري في حماس . . إن هذا الغزو يقتل الأمان والاستقرار في



الوطن العربي، فمن يأمن جاره بعد اليوم ؟ ومن يستطيع أن يقول إن اخواني يعيشون خلف الحدود وهم يحملون البنادق و المدافع والقنابل والطائرات، ويجيشون الجيوش للوثوب على من يدعون أنهم إخوانهم . .

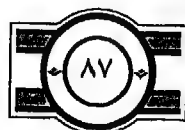
إن هذا الغزو أجهض أحلام العرب في التقدم والرقي والنهوض والتعاون . . وسيؤخر قيام مؤسسات التضامن والإتحاد فيما بينهم إلى أجل غير مسمى . . وعلينا نحن الرجال أن ندافع عن مستقبلنا وأحلامنا ضد هذه الهجمة البربرية . وأن نقاوم مهما كانت الظروف والتضحيات . .

ويقول عوني النفيسي: الحقيقة أنني فوجئت بهذا الإحتلال الذي لا مبرر له . . وكان الأولى أن توجه هذه الجيوش الجارة إلى اسرائيل كما يدعي حاكم العراق . . ولكنه أسلوب يدل على الافلاس السياسي كما قال بعض الزملاء . . وأظن أن هذا الإحتلال لن يحقق للمعتدي سوى الحسرة والندامة، وتحطيم هذه الآلة الجهنمية التي أخطأت طريقها، وكان الأجدر بها أن تتجه نحو الغرب . . نحو الذين اغتصبوا أموالنا وديارنا بدلا من أن تتجه نحو الجنوب نحو إخوة مسلمين . أعانوا في الشدة ووقت الحاجة ثم نكافئهم باحتلال أراضيهم بلا جريمة أو ذنب . .

ويعقب فيصل الشيان . . لابد لنا بعد هذا أن نفعل شيئا وأن نتخذ قرارا محددا . . إنني لا أستطيع أن أعيش في وطن محتل، إنني أختنق يا إخواني . فماذا تقترحون ؟

ويتجه إلى محمود المنزلاوي فيقول في صوت عميق :

- هناك أيها الإخوة محاولات تبذل لإقناع حكام العراق بالانسحاب . فإذا استجابوا . . كان هذا حقنا للدم العربي . . وإذا لم يستجيبوا فسيكون لنا موقف آخر . . وهو الدفاع عن الحق أيا كانت النتائج، لقد أمر الله سبحانه بالوقوف مع الحق والدفاع عنه .



ونحن الآن نضع أنفسنا تحت إمرة فيصل الثيان . . وما يأمر به نافذ . . وهذا رأيي . . فإذا كان لأحدكم رأي مخالف فليتفضل ويقول لنا ما يريد . . ففيصل صاحب الأرض والقضية ، وإن كنا نشاركه القضية . .

هز الجميع رؤوسهم بالموافقة ، بينما قال فيصل :

- إنني لا أجبر أحدا علي البقاء معنا في القضية أيضا فإذا أراد أحد أن ينسحب منها فقد يكون له عذره ، وأنا لا أمنعه . .

ويبتفض كاظم السامرائي غاضبا ويقول منفعلا :

- إنك تقصصني بلاشك يا فيصل . . ولكنني أرفض أن أخون إخواني وأهلي وأقف مع جيش تترى خان العروبة ، ومزق شرفها ، واعتدى علي حرمت جيراننا وأهلنا وعشيرتنا ، كما أنني لا أشك ولو للحظة واحدة أن غالبية الشعب العراقي يعارضون هذا الغزو ويلعنونه ، والشعوب المغلوبة على أمرها ، ويحكمها دكتاتور لا رأي لها . . والجيوش عادة هي أداة هذا الحاكم تنفذ مايريده ، وأنا يأسادة على رأس هؤلاء المعارضين . . ، لكن ماذا بيدي !! فأنا واحد منكم ، وأضع يدي في أيديكم حتى تنجلي هذه الغمة ، ويزول هذا الكابوس الذي جثم على صدر الأمة العربية بأسرها قبل أن يجثم على صدر الكويت . .



مضى حكام العراق في غيهم . . ولم يستجيبوا للمناشدة العربية أو الدولية بضرورة الانسحاب، و كشف الغزو عن وجهه القبيح باغتيال بعض الشخصيات العامة، ومحاولة تجنيد البعض الآخر ولكن الجميع رفضوا أي تعاون مع المحتل، وأن يتحول الواحد منهم مخلب قط لحكام العراق ضد أبناء شعبه . . فانطلق المحتلون يعيشون في الأرض فسادا.

كما رفض شعب الكويت الحكم المزيف الذي حاوله المحتل باستيراد حكومة، وادعاء أنها كويتية . . وهب الشعب للدفاع عن نفسه .

واجتمع فيصل الثنيان بمجموعته، وطلب من كاظم السامرائي و عوني النفيسي أن ينتقلا للإقامة معه . . وناقشوا إمكانية القيام بعمل ما تضامنا مع الثائرين والمناضلين . . واقترح حامد الجوهري ضرورة نسف الدبابة التي اقتحمت قصر "دسمان"، واغتالت المدافعين عنه وفيهم بعض الشخصيات العامة . .

ونال هذا الإقتراح الاستحسان، ولكن فيصل الثنيان قال:

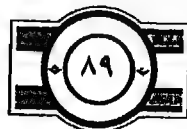
- نحن لا نملك سوى بعض المسدسات، وربما تصلني بندقية آلية الليلة القادمة، فكيف ننسف بهذه الأسلحة دبابة ١٩

ويجيب كاظم السامرائي في ثقة:

- دع هذا الأمر لي، فأنا أستطيع بإمكانياتي المتواضعة، وبهذه الأسلحة البسيطة تدمير هذه الدبابة الضخمة . . فأنا مدرس علوم . . فاطمئن أيها القائد . .

و أصبح فيصل الثنيان يحمل لقب قائد، و لا يخاطبه أحد إلا بهذه الرتبة . . وذكر لهم كاظم تفاصيل خطته بعدها بيوم . .

و حدد فيصل لكل فرد دوره في العملية و سماها بالعملية رقم واحد . . وكانت



الخططة تقضي بوضع مادة ناسفة داخل الدبابة ، وتفجيرها بوساطة مفجر تحيطها أنابيب غاز البوتاجاز شديدة الاشتعال ..

و لكن كيف يتم وضع كل هذا داخل الدبابة . . إذ لابد من القضاء على طاقمها أولا . . فكيف يمكن القضاء عليهم؟

و يقول فيصل :

- إذن هناك سؤالان لابد من الإجابة عليهما . السؤال الأول: كيف نصنع المتفجرات؟ والثاني: كيف نضعها في الدبابة ، و بها طاقمها وهو لا يقل عن ثلاثة أفراد؟!

و يقول المنزلاوي :

- علينا أن نوجد المتفجرات أولا . . ثم بعد هذا نفكر في الطريقة التي نستطيع بها أن ننسف الدبابة ، وإذا لمجئنا في هذا الأمر كانت معجزة . . حتى ولو لم نستطيع أن ننسف الدبابة استطعنا أن نفعل بها شيئا آخر . .

ويؤمن فيصل على كلامه فيقول كاظم :

- إذا استطعنا أن نصل إلى معمل مدرسة متوسطة أو ثانوية نكون قد وضعنا أقدامنا على الطريق الذي يوصلنا إلى غايتنا . .

ويقول عوني :

- لدي فكرة إذا تمت نكون قد سرنا شوطا في تنفيذ غايتنا، إن فالح الشويخ ناظر مدرسة المتنبى يستطيع أن يخدمنا في هذه الخططة . . فهو ناظر المدرسة . . وهذه المدرسة توفر علينا مشقة الانتقال إلى " بنيد القار " مع أنابيب الغاز والمتفجرات ولكن السؤال: أين نجد فالح الشويخ؟



ويجب معاوية الحموي:

- اتركوا الأمر لي.. فأنا أعرف مكانه.. إنه يقيم بجوار المدرسة.. ولا شك أنه يعرف كل ركن فيها، فهو ناظرها وهو أيضا رئيس ناديها الصيفي.. وهو رميلكم جميعا، ويعرفكم واحدا واحدا.. ولن يقصر في عمل وطني كهذا.. ولكن من يتصل به، ويشرح له الأمر؟

ويقول فيصل في ثقة:

- اتركوا لي هذا الأمر..

وبعد يومين أعطى فيصل الثنيان إشارة البدء في العملية ولم يخبرهم بما دار بينه وبين فالح الشويخ واعتراضه على اشتراك كاظم السامرائي في العملية.. ولكن فيصل طمأنه، وأخذ الأمر على عاتقه.. وقال له: ليس كل العراقيين يوافقون حكاهم على الغزو، لأنني متأكد من أن غالبية الشعب العراقي غير راضية عن هذا الغزو.. فهو اغتصاب لحقوق شعب شقيق، أو سطو مسلح، ولا تقبل الفطرة السليمة هذا العمل الشائن، وكاظم نعرفه منذ سنين، ودماؤنا تجري في عروقه..

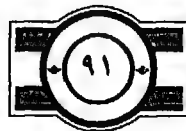
ومر أسبوع كامل كان كاظم وفالح يترددان فيه على معمل مدرسة المتنبي حتى استطاع أن ينجز عشر رجاجات من المتفجرات.

وجمع فالح الشويخ ستة اسطوانات غاز، وأخيرا أنهى إليهم كاظم خبر الانتهاء من تجهيز أسلحة العملية ثم سأل:

- كيف سننفذ الجزء الثاني من العملية؟

صمت الجميع واتجهوا إلى فيصل فقال في صوت هادئ:

- لقد كنت طوال مدة تجهيز المتفجرات أمعن النظر في خطة وأظنها منطقية..



إننا لكي نضع كل هذه المتفجرات في تلك الدبابة لا بد من توافر أمرين؛ أولاً: تفريغها من طاقمها والمكون على الأقل من ثلاثة أفراد.. ثانياً: أن تنتقل هذه المتفجرات إلى الدبابة فور إخلائها بسرعة حتى لا نفاجأ بدورية مارة.. ولكي نقلل من خطورة المفاجأة لا بد لنا من الحصول على ملابس عسكرية.. وهذه الملابس لن نحصل عليها إلا من طاقم الدبابة.. هل استوعبتم الخطة؟

وأضاف ريادة في الإيضاح.. لا بد لنا من القضاء على طاقم الدبابة.. وهذا ما أقصده من تفريغها من طاقمها.. ثم ننزع عنهم ملابسهم، ويلبسها ثلاثة منا ليقوموا بتجهيز كل شيء انتظاراً للحظة الحاسمة وهو عملية التفجير.. وسيقوم بها الأخ كاظم.. وقد وضعت خطتان لهذا: الأولى مفجر كهربائي عن بعد.. ونسبة النجاح فيه لا تتجاوز خمسين في المائة، والثانية هو سكب البترول على هذه الأنابيب والمتفجرات داخل الدبابة، وإشعاله باليد..

- إنها خطة محكمة أيها القائد.. ولكن هل فكرت أيضاً في طريقة التخلص من طاقم الدبابة؟

سأل معاوية هذا السؤال المفاجئ، والذي كان على لسان الجميع.. فقال فيصل في لهجته الهادئة الواثقة:

- في الحقيقة لقد شغلني أمر التخلص من طاقمها لأنه أهم عنصر في خطتنا.. ولم أجد وسيلة واحدة لإخراج هؤلاء الجنود منها سوى المرأة.. هي التي تستطيع هذا..

ويقول المتزلاوي:

- ألم تخرج آدم من الجنة!!



و يعقب حامد الجوهري :

- ولكنها هنا ستقوده إلى جهنم ..

علت وجوههم ابتسامات خفيفة سرعان ما تبخرت ..

وسأل كاظم :

- ولكن من أين تأتي بنساء؟

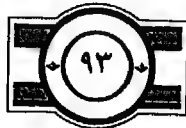
- ليس أمامنا إلا أن نتحول نحن إلى نساء لمدة نصف ساعة .. ونضع العطور

النافذة .. ومضى في شرح خطته :

- والجنود شباب محروم .. إذا لوحث له امرأة بيدها انطلق وراءها ونسي كل شيء .. لقد أحضرت ملابس تكفي خمسة رجال للتحويل إلى نساء .. ولتذهب كل أنثى برجلها في مكان بعيد عن الآخرين للتخلص منه بأسرع ما يمكن .. ولتكن الطعنات في القلب مباشرة .. ثم نرتدي ملابسهم ونعود إلى جوار سور المتنبّي لتنفيذ بقية العملية ..

ونجحت العملية، وكان لنجاحها صدى بعيد لدى الشعب الكويتي فأشعلت فيه روح المقاومة .. كما أنها كانت عملية جريئة أذهلت المحتل الغاصب، فجن جنونه؛ وقد امتلأ بهم المكان على صوت الانفجار، وأرادوا الانتقام للعملية فانطلقوا يفتشون المنطقة، فعثروا على شخص شبه محترق يلبس ملابس جندهم .. فنقلوه للمستشفى لعله يبوح بكلمة ترشداهم إلى من قاموا بالعملية، ولكن عبثا حاولوا ولم يكن هذا الجندي سوى كاظم السامرائي ..

فقد حاول تنفيذ العملية بمفجر كهربائي عن بعد فلم يستطع فما كان منه إلا أن صعد على ظهر الدبابة وسكب البترول على المتفجرات، وأشعلها بيده .. ونسي أن ثيابه



مشبعة بالبترول فامتدت إليه النار. . وحاول الجري نحو البحر ليلقي بنفسه فيه. وأشار إلى زملائه أن يتعدوا عندما اقترب منه بعض جنود الاحتلال الذين قدموا على الصوت المدوي الذي هز المنطقة وعندما نقلوه إلى المستشفى، وهم يظنون أنه واحد منهم. . كان قد فارق الحياة.

وأصبح كاظم السامرائي العراقي من أول شهداء الوطن المحتل وكان موته فاجعة لزملائه لوفاته النادر، وموته في سبيل الحق والدفاع عن المظلوم، ولم تخدعه الشعارات الكاذبة التي كانت ترددها أبواق المحتل ليل نهار، وهو ابن جلدتهم. .



كان الوقت ظهرا.. سمع محسن البغدادي طرقا شديدا على الباب.. لا شك أن عمر قد نسي المفتاح.. دائما ينساه، ويزداد الطرق بقوة، يفتح الباب متعجبا فيفاجأ بجندي يقف أمامه في صلافة قائلا:

- من أنت؟

- من أنا! ألا تعرف من أنا! أنا أسكن هنا..

ويزيحه الجندي من مدخل الباب وينفذ إلى الداخل في غطسة قائلا:

- لم تجب عن سؤالي بعد.. قلت لك من أنت؟

- لقد أجبتك..

- لم تفهم بعد ما اقصده.. من أي جنسية أنت؟

- عربي مثلك..

ويضحك الجندي مقهقهها ويردد:

- مثلي أنا.. مثلي أنا.. أجبني بسرعة: مصري.. سوري.. فلسطيني؟

- سوري.. ولكن بأي حق تقتحم بيتي بهذه الطريقة، وتسألني هذه الأسئلة!!

- أنت تعرف هويتي دون أن أتكلم.. أما أنت فشخص مجهول، مجرد موظف

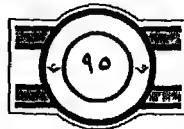
خايس مثل من وظفوك.. إن هذه أرضنا ومعاشك الذي تناله من أموالنا المنهوبة..

فهمت؟

- لم أفهم شيئا..

وفتح عمر الباب ودخل.. ألقى السلام، رد محسن أما الجندي فقد نظر إليه وهو

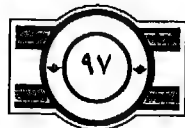
جالس وقال:



- وهذا سوري مثلك!
- سوري أو مصري لا فرق.. فالعرب جميعا إخوة، ومن يفكر أو يفعل خلاف هذا يكون..
- ويقاطعه الجندي في صلافة:
- ماذا تقصد يا مصري.. أنت وها السوري أمامكم ساعتان للرحيل من هنا.. هذه بلادنا، ولا نريدكم في هذا المنزل.. فنحن في حاجة إليه.
- ويقول محسن البغدادي معترضا:
- كيف لجميع أئاثنا وكل حاجتنا في مثل هذا الوقت القصير.. وما الذنب الذي ارتكبناه حتى تفعلوا هذا بنا.. وهل معنى ذلك أنكم ستطردون كل سكان "الفحاحيل" من بيوتهم، أما أنه عقاب خاص بنا وحدنا؟!
- سنفعل ولكن في الوقت المناسب.. وإذا كنت تود السلامة فلا تتكلم كثيرا، وامثل لما أقول..
- ثم قام ودخل إلى المطبخ.. كان هناك طعام جاهز أحضره بلا استئذان، ووضعه على مائدة الطعام، وجلس يأكل وحده بجلافة وفظاظة، ونظر إليهما باحتقار قائلا:
- لماذا لا تجمعون أغراضكم.. سأقذف بها من النافذة إن لم تسرعوا بجمعها وحملها من هنا..
- ثم قال في فظاظته وتحديه:
- ارفعا بقايا الطعام وتناولوها إذا كنتما جائعين.. وهو اللائق بكما..
- فاغتاز محسن البغدادي لأنه كان يوجه الكلام إليه.. فجمع بقايا الطعام وقذف بها في وجهه قائلا:

- إن هذا هو ما يليق بك .. لقاء وقاحتك وجلافتك ..

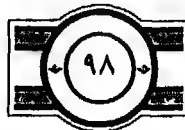
ونفخ الجندي في صفارته فسرعان ما امتلأ المنزل بالجنود، وانهالوا عليهما ضربا .. وقدقا بهما إلى الطريق شبه جثتين هامدتين فحملها الأهالي إلى المستشفى القريب ..



كان الجنود الغزاه يتصرفون بمنطق المحتل الكريه غالبا مما أثار الكويتيين وغيرهم من المقيمين، وكانت أخبار المصادمات التي لا تنتهي تنتقل بسرعة كبيرة.. وكان المحتلون يحرصون على إذاعتها داخليا وإبراز قسوة العقاب الذي نزل بمن يحاول أن يقف في وجههم. أو تسول له نفسه هذا..

وعندما وصل الخبر إلى مجموعة فيصل.. أقسموا بالانتقام لمحسن البغدادي، وعمر الشيبني، وغيرهم ممن ذهبوا ولم يدر بهم أحد..

كانت مجموعة فيصل الثنيان قد ازدادت خبرة في مواجهة المحتل الباغي وانضم إليها الكثير من الشباب، وتدربت على كثير من الأسلحة، كالقاء القنابل اليدوية، وإصابة الهدف البعيد بالبنادق والمدافع المحمولة.. وجلب الذخائر عبر الصحراء عن طريق بعض القبائل المنتشرة على حدود البلاد الشقيقة المجاورة للكويت.. تمولها الحكومة الكويتية من الخارج.. وكانت الخطة في بادئ الأمر بين أحد احتمالين.. الأول: مهاجمتهم داخل المنزل الذي احتلوه رغبة في مضايقة الأهالي والمقيمين، بالعدوان عليهم وإذلالهم بإخراجهم من مساكنهم، وخاصة الدول التي وقفت مع الحق والعدل.. والاحتمال الثاني: استدراجهم خارج المنزل ومنازلتهم والقضاء عليهم.. واتفقوا على أن شاطئ الخليج هو خير مكان لهذا.. ولكن كيف يمكن استدراجهم خارج المنزل إلى شاطئ الخليج في هذه المنطقة البعيدة عن العاصمة.. وأخذوا يضعون فروضا.. اقترح البعض أن يلبسوا ملابس المحتل مما بحوزتهم ثم يختلقون مشاجرة بينهم على الشاطئ قريبا من المنزل وتطلق بعض الطلقات النارية.. وبهذا تثير اهتمامهم فيخرجون إلينا.. ويحاولون التفريق بيننا باعتبارنا منهم.. بينما يقف كمين مسلح قريبا من المكان ليصطادهم واحدا واحدا ويقضي عليهم.. ثم ننطلق إلى المنزل لنقضي على من بقي فيه بطريقة مفاجأة أو يقف الكمين بعد أن ينتهي من الموجودين قريبا من المنزل لاصطياد من يخرج.. فلا شك أنهم سيخرجون عندما يسمعون الطلقات..



وقال يعقوب الجاسم: إن العراقيين مولعون بالخمر والشراب.. من أيام أن كانت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية.. فما رأيكم لو حاولنا أن نرسل إليهم رسالة نخبرهم فيها بأن عملية تهريب وسكي سستم هذا المساء عن طريق الخليج، وبذلك نغريهم بالخروج ونموه عليهم بإلقاء بعض الصناديق في المياه القريبة..

ويعقب حامد الجوهري فيقول:

- وماذا لو لم تغرهم صناديق الوسكي المزعومة؟

ويجيبه فيصل الثنيان:

- يكون لنا تصرف آخر وخطة أخرى..

وطلب من محمود المتزلاوي ان يكتب لهم رسالة تغريهم على الخروج.. واستطاع أن يكتب الرسالة، وضمنها أفكارا أخرى.. فبجانب إغرائهم بالحصول على هذه الهدية التي جاءتهم على غير انتظار.. فقد أخبرهم أنها ربما تكون أسلحة مخبأة في صناديق، وليست خمرا.. وبهذا ينالون سبقا في الدفاع عن جيش الاحتلال.. وربما ينالون أوسمة وترقيات وحدد لهم الوقت في الثانية صباحا.

وفي الموعد كانت الصناديق تسبح على سطح الماء في سرب طويل.. ووقف جنود الاحتلال على الشاطئ، وأيديهم على أسلحتهم للقضاء على المهربين، ولكنهم فوجئوا بأن الصناديق تسبح وحدها دون إشارة لأي بشر قريب أو بعيد عنها.. فألقوا بأسلحتهم، وتركوها في حراسة قائدهم وأسرعوا بخلع ملابسهم، وألقوها بجانب مهماتهم.. ونزلوا إلى الماء سابحين..

وحانت ساعة العمل.. فترك فيصل وجماعته موقعهم -وكانوا يختفون خلف بعض الصخور- فانقضوا على قائد المجموعة، وكنموا أنفاسه قبل أن يتحرك، أو يطلق إشارة تحذير، ولم يتركوه إلا جثة هامدة.



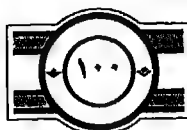
وأخذوا يصطادونهم واحدا واحدا عند خروجه من الماء في عتمة الليل، وهو يحمل صندوقه خنقا وبالسلاح الأبيض حتى تتم العملية دون ضجة.. ولا تستدعى قوات إضافية.

ويقول الزعابي بعد الانتهاء من العملية، وهم في طريق العودة:

- لقد كانوا يحلمون بليلة سكر وعريضة.

ولم يتسم أحد في الظلام لهذا التعليق، كانت نفوسهم ملأى بالمرارة والألم.. أن يحتل العربي أرض أشقائه بقوة السلاح، وينكل بأهله وذويه، فيضطر الشقيق لقتاله للدفاع عن أرضه وكرامته.. أليس هذا أمرا مخجلا فوق أنه محزن ومبك!!

وانتشرت أنباء هذه العملية في أرجاء الكويت، وجاء مندوب لقائد الاحتلال في اليوم التالي مع قوة كبيرة من الجند لتفتيش الموقع ومعرفة أسباب هذه المذبحة التي أتت على أكثر من عشرة أفراد من خيرة رجال الاستخبارات.. وأخذوا يفتشون البيوت المجاورة ويهددون كل من يروه.. وكأنهم فقدوا صوابهم، وخرجوا في النهاية ببيان يندرون ويتوعدون كل من اشترك في هذه العملية بأنه سيلقى سوء المصير.. وادعوا بأنهم يعرفونهم واحدا واحدا، وسيبحثون عنهم حتى لو كانوا في أطباق الأرض أو أجواز الفضاء..



دخل الجنود إلى المنزل الكبير، لم يكن بالمنزل سوى شيخ كبير طاعن في السن، وحفيده الشاب، ألقى إليهم كبيرهم بضع كلمات فانطلقوا إلى غرف المنزل يقلبون الأثاث، ويحركون كل شئ من مكانه، ويحطمون ما يمكن تحطيمه.. سألت الفتاة قائدهم في سخرية:

- لماذا تفعلون كل هذا.. وهل هذا يجوز من أشقاء كما تدعون وأنا المحافظة المكملة لدولتكم الكبرى!!

لم يكن الرجل يتصور أن تجرؤ فتاة في مثل سنها على الحديث معه بهذه الطريقة، وتهزأ منه بأسلوب واضح النبرات.. فما كان منه إلا أن قال بخشونة:

- انخوسي يا حرمة.. لو كنت..

وتقاطعه في غضب:

- أنا لست حرمة.. وإنما الحرمة والحرام ما تفعلونه بنا، ماذا فعلنا بكم؟ أكانا في حرب معكم؟ أهو جزاء سنمار بعد كل ما فعلناه وقدمناه لكم في الحرب والسلام..

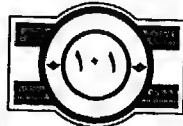
- كنتم تفعلونه مرغمين.. تخافون منا..

وتقاطعه في شجاعة:

- ولماذا نخافكم!

وتتابع وهو يقف مشدوها:

- إن المجتمع الإنساني ليس مجتمع ذئاب وحملان، ولكنه مجتمع عقلاء وأسياء.. ولا توجد دولة واحدة في العالم إلا ويجوارها دولة أقوى منها أو أضعف منها.. فماذا يمكن أن يحدث لو غزت كل دولة قوية جارتها! وستجدون أنفسكم في قبضة من هو أقوى منكم.. وبذلك ستصبح الحياة غابة كريهة..



وقبل أن يجيب تتابع في سخرية :

- وإذا كنا المحافظة التي تكمل دولتكم فلماذا تعاملوننا كغزاة!!

ويقاطعها بدوره :

- أنتم ترفضون الخضوع، وتحاولون الخروج على سلطتنا، ثم إنه ليست هناك

في المنطقة قوة أقوى منا، نحن الأقوى، وسنظل كذلك دائما..

وينزل الجنود من الأدوار العليا بالمنزل الكبير، ويصطفون أمام رئيسهم في وقفة

عسكرية.. ويقول أحدهم :

- لم نجد أحدا ياسيدي القائد

ويعصرفهم ثم يبقى بالمنزل، ويجلس على كرسي قائلا في لهجة رقيقة بينما وقفت

أمامه "نورا" وكأنها تتحداه في شموخ :

- ما اسمك يا فتاة..

ويشير إليها أن تجلس. ولكنها لا تحفل به وتقول :

- ماذا تريد من اسمي.. ألم تنته أجراءاتك بعد؟

ويشعر بأنها تطرده، فيحاول اكتساب ودها فيقول ملاطفا :

- وهل يليق بالجميلات أن يخاطبن ضيوفهن بهذا الأسلوب..

وتجيبه وهي تضحك ساخرة :

- ضيوف.. ما أسخف الضيوف إذا كانوا بهذه الصورة.

فيقوم غاضبا من مكانه ويصفعها، فتصفعه بدورها قائلة في ثورة :

- أتصفعني أيها الجبان.. أتصفع فتاة يا جلف!!



ويُفتَح باب على الصالة، ويطل منه شيخ كبير، ويقول وجسمه يرتعش من الوهن والغضب:

- ماذا يريد منك هذا الخسيس الملعون يا نورا!

بينما يهجم عليها الرجل ويحاول أن يحتويها، ويدرك العجز ما يريده بحقيده، فينقض عليه بعصاته التي يتوكأ عليها، فيدفعه القائد فيرتطم بالجدار، ويسقط مخرجاً بدمائه.

وتثور نورا وتحاول أن تنتقم لجدها فتهجم عليه، وتستعمل أظافرها وأسنانها في جسمه ووجهه.. فما كان منه إلا أن مزق ملابسها، ودفعها عارية إلى خارج المنزل بلا شفقة أو رحمة أو حياء، ولم يكتف بهذا بل طعنها في صدرها بخنجر مزق ثديها وتركها في عرض الطريق.. وهدد كل من يقترب منها لإنقاذها برميهِ بالرصاص.. وظل واقفاً على رأسها حتى لفظت أنفاسها أمام عينيه..

كان عملاً بشعاً سرعان ما انتقل خبره بين المواطنين، وإن كانت إذاعة المحتل قد صورتها بصورة امرأة مستهترّة أرادت استدراج قائد منطقة الشامية ليقتضي الليل معها، ولكنه رفض فحاولت الاعتداء عليه، ولكنها لاقت جزاءها المناسب.. وكان بصحبته صديق لها حاول الدفاع عنها فلقي مصرعه كذلك.

و سرعان ما انتشر الخبر وعرف المواطنون الحقيقة.. وكانت قصتها مأساة كويتية أدمت قلوب الكويتيين جميعاً.

هذه الأحداث ومثيلاتها بوحشيتها أدت إلى تصاعد المقاومة السرية فالحياة تصبح رخيصة وتافهة في ظل العبودية والاستبداد..



وقفت الفتاة في تحد وإصرار أمام بوابة الفندق الذي تحول إلى مقر قيادة تطلب
مقابلة القائد. . وحاول جنود الحراسة أن يشنوها عن عزمها ولكنها أصرت على
مقابلته. . .

وقفت أمام الضابط في شجاعة قائلة:

- وكيف تكونون هنا، وتحتلون هذه الأرض بثروتها الكبيرة وأنا لا أجد قوت
يومي!!

ويتظاهر الضابط بالانفعال وهو يتجول بعينه الوقحتين في جمال وجهها وسحر
عينها، وقوامها الممشوق قائلاً:

- نحن لم نحتل هذه الأرض، وإنما استعديناها يا فتاة، وعليك أن تصححي
معلوماتك. ولاتتحدثي بما يتحدث به الجهلاء الأغبياء!!

ثم يتذكر شيئاً وكأنه غاب عنه فيتابع في حدة:

- ومن أنت؟ ولماذا جئت لمقابلتي!

- أنا عراقية مثلك. . ولي الحق في أن أطلب عملاً كي أعيش. .

ويقاطعها مستغرباً:

- عراقية مثلي!

- نعم. . ومن منطقة "الزبير". .

- وكيف جئت إلى هنا!

- الأمر ليس عسيراً يا سيدي القائد. . جئت مع الجنود القادمين. . وسرقت

مني أوراقاً وجميع ملابسني. .



ويرتبك القائد بينما تتابع الفتاة:

- أليست هذه الأرض أرضنا كما تقولون.. أريد أن أعيش أنا وأمي بعد أن ذهب أبي إلى الحرب مع إيران ولم يعد.. أتموت جوعا وحولنا كل هذا الثراء!!
كانت الفتاة تتكلم بشجاعة وجرأة صعقت القائد، وأذاًبت صلابته المتعمدة..
وحركت عواطفه.. فقال وعلى وجهه ظل ابتسامة مرجبة:

- ماذا تجيدين يا فتاة؟

- الطهي.. وهل لفتاة مثلي أن تجيد غير الطهي!!

ويضغط على جرس أمامه، ويأمر باختبارها في مطعم الفندق. ويقول لها
مبتسماً، ولا زال سحر جمالها مسيطراً عليه:

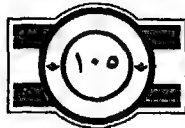
- حذار من أن يكون في حكايتك شئ خلاف ما قلت.

وتجاهل في غمار إعجابه بجمالها أن يدقق في تحقيق شخصيتها، واعتبرها صيدا
وقع في شباكه فما حاجته لهذا! وصنع بيده إشارة إلى قطع رقبة من يذكر معلومات غير
صحيحة.

وتنجح في المطبخ، وتصبح الطاهية الخاصة بالقائد، وطبقاً لأوامره أصبحت
الوحيدة التي تحمل له الوجبات التي كان يتناولها وحده، وأصبح على خلاف عاداته
السابقة مع مجلس قيادته يتناول طعامه على انفراد، ليكثر من لقائه بها دون أن يراها
أحد..

وذات ليلة.. طلب الطعام في وقت متأخر، فذهبت إليه فاطمة بوجبة العشاء..
وجدته سكراناً.. قال لها:

- اجلسي هنا..



وأشار إلى كرسي في مواجهة على مائدة صغيرة، وقال وعينه محمرتان من السكر:

- اجلسي أمامي.. فأنا الليلة أريد أن أرى وجهها جميلا واستمتع به.. هذه ليلتك..

- أشكرك سيدي القائد.. ولكنني لا أستطيع الجلوس، وهل يجرؤ إنسان أن يجلس في حضرتك، وأنت القائد المظفر.
ولكنه يصيح في لهجة أمرة:

- اجلسي وإلا..

فسارعت بالجلوس.. فابتلع ما كان يود أن يقوله.. وقام وأحضر زجاجة من الخمر، وصب كأسين، ووضع أمامها كأسا، وأمامه قائلا:

- اشربي.. فالحياة قصيرة، ومسراتها سريعة الزوال والذكي من يقتنصها..

- يقتنصها بالحق والعدل..

- ماذا تقصدين بالحق والعدل هذا!! أنا لم أسمع من يقول هذا سواك..

- لأنني ضعيفة، والحق والعدل هما نصير الضعفاء..

- ولكنك لست ضعيفة، فلقد ملكت شغاف قلبي، ولك سلطان أقوى من أشد

الأسلحة فتكا، وأبعد مدى من المدافع..

ثم ينظر إليها ويقول نائرا:

- لماذا لا تشربين ولا تأكلين..

- كيف أشرب ياسيدي القائد وأنا في حياتي لم أشرب.. أتريد أن تجعلني

أضحكة في هذا المكان..



- لا يستطيع أحد أن يسخر منك وأنا هنا.. من يسخر منك أخبريني فلن
يطلع عليه نهار...

ثم يتابع :

- لا داعي لكلمة القائد هذه.. فقد أسرت قلبي من أول لحظة رأيتك فيها..
أنت قنبلة من السحر والجمال لم يخلق مثلها..

- أنت تبالغ ياسيدي، فلست سوى فتاة ضعيفة.. أعمل لأعول أمي، وأصون
نفسي..

وتتابع :

- وأنت ياسيدي ألت متزوجا!

- لا تذكريني بمسألة الزواج هذه.. ولا تضيعي هذا الوقت السعيد بسؤالني
عنها.. لا تذكريني بشراستها ونزواتها.. لقد هلهلت شرفي خلال سنوات الحرب مع
إيران..

- لماذا أبقيت عليها اذا كنت..

يصيح في صوت قاصف :

- لا تذكريني.. واقطعي الحديث.. فنحن نريد أن نعيش ليلتنا وبعدها
الطوفان..

أخذ الذعر يدب في أوصالها، كيف تهرب من هذا المأزق، من هذا الوحش
المفترس.. يتحدث عن الشرف ونزوات زوجته وفي الوقت نفسه يحاول الوصول إليها،
وقام من فوره وكأنه يأمر جنديا تحت إمرته.. فطلب منها أن تقوم ليستند على كتفها
ليذهب إلى غرفة النوم.. وادعى أنه لا يستطيع الوقوف لتعبه، وكثرة ما شرب..



وفجأة يستدير ليحتويها بين ذراعيه، وهي تحاول أن تتخلص منه، موقف لم تحسب حسابه، ولم تتصور أن يصل إلى هذا المدى وفجأة يدق جرس الهاتف. . فيتركها ويجري إليه، وعندما يسمع كلمة بغداد من المتحدث ظل يردد كالمثلثات. . وسمعه يردد: حاضر سيدي. . حاضر سيدي. . الحين سأعقد لهم اجتماعا سأوقفهم من النوم. . سنذهب الساعة،

سأوقفهم سيدي، وأعقد لهم اجتماعا. .

ونادى على حراسته، وطلب منهم أن يوقفوا مجلس قيادته، والتوجه فورا إلى قاعة الاجتماعات. .

وأسرعت فاطمة إلى غرفة الاجتماعات، وأحضرت "زهرة" الورد التي أعدتها. . وقالت للحارس: إنها هدية مني للقائد ومجلس قيادته. . وعلينا جميعا أن نهئى لهم جوا يهيجهم ويسعدهم فهم دائما ساهرون في خدمة زعيمهم وأمتهم لا يفرقون بين الليل والنهار. .

وكان القائد أول من دخل إلى غرفة الاجتماع وتبعه الآخرون، وكانوا يربطون أزرار ملابسهم وهم يهرولون إلى القاعة الواسعة، ويدقون الأرض بأقدامهم، ويؤدون التحية للقائد وكل منهم يأخذ مكانه حتى اكتملوا، على المائدة المستطيلة وفاطمة تقف في ركن مظلم تشاهد وعلى وجهها ظل ابتسامة وبعد دقائق من إغلاق الباب عليهم دوى انفجار هائل في غرفة الاجتماع، وكان الاجتماع الأخير. .

وانطلقت فاطمة خارج مبنى القيادة، وفي أعماقها صوت يصرخ لقد انتقمتم لنورا وجدها. . وأسرعت إلى فيصل الثيان لتهنئته وزملائه بنجاح العملية، وقد تمت بفضل تدبيرهم، وحسن إعدادهم. .



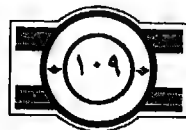
توصلت استخبارات المحتل إلى أن المحرك لكثير من العمليات الفدائية الهامة هو شخص يدعى فيصل الثنيان ومجموعة معه، عن طريق أحد عناصرهم الذين جندوا قبل الإحتلال . . ووعدت من يأتيهم بخبر هذا المقاتل الشرس بجائزة كبيرة . . ولكن أين يجده، وكيف تصل أيديهم إليه!! وقد كان كالزئبق لا يظهر في مكان إلا ويختفي سريعا حتى بين المواطنين . . بحثت عيونهم التي رصدوها عنه في كل مكان، ولكنها جميعها باءت بالفشل، وصار شبحة يهدد جنود الاحتلال في كل مكان يتواجدون فيه . . حتى صدرت الأوامر لهم من قيادتهم الجديدة بأن يسيروا جماعات لا فرادى بعد أن تعرض كثير منهم للإختطاف والقتل، وأن يدققوا في كل من يحيط بهم، وأن يسيروا وأيديهم على الزناد دائما، وأن يحكموا قبضتهم على أسلحتهم بعد أن تعددت حالات خطفه . .

وهكذا تحول الشعب الكويتي إلى جبهة واسعة للمقاومة، وصار الحمل - الذي كانوا يظنونه - ذئبا مفترسا . . وفي كل مكان لم يبخل الكويتي بدمه يظهر به كل شبر من أرض الوطن الذي اغتالته الأيدي الآثمة، وداست أرضه الطاهرة أقدام محتل باغ دون أن يردعه خلق أو جوار، أو صلة دم وأخوة . .

لقد أصبح فيصل رمزا من رموز المقاومة الباهرة العنيدة، ولكن كيف الوصول

إليه؟

اجتمع مجلس القيادة الجديد بعد أن نقل مقر قيادته إلى فندق آخر على شط الخليج، وأحاطه بالدبابات والسيارات المصفحة، ولم يسمح لأحد بالعمل فيها إلا لطاقم استورده من العراق، وزيادة في التعقيم على ما حدث من نصف مقر القيادة منع أي إنسان من الاقتراب من الفندق الذي كان مقرا للقيادة السابقة التي نجحت الفدائية -فاطمة- في نسفه والقضاء على أفرادها . . وكانوا أكثر من خمسة عشر ضابطا من أبرز قوادهم . .



اجتمع مجلس القيادة واستقر رأيهم على القبض على أسرة فيصل الشيان وجميع أقاربه وتعذيبهم رجال ونساء حتى يضطر أن يسلم نفسه لينقذهم . .

وبعد بحث طويل من عيونهم السرية عرفوا منزل فيصل، فاتجهوا إليه في مظاهرة عسكرية، وحشد طابور من الأسلحة المتحركة بهدف إرهاب الشعب المناضل . . قبضوا على من وجدوه بالمنزل . . وهما والده والدة العجوزان . . وبدأت سلطات الاحتلال تديع أخبار تعذيبهما حتى يقرأ بمكان ابنهما . .

ووقف الشعب الكويتي عاجزا أمام هذا العمل البربري . . وأخذ يدعو الله أن يلهم الرجل وزوجته الصبر على هذا البلاء الذي نزل بهما . . ولكن لو عرف الشعب الحقيقة لامتلأ فخرا بهذه الأسرة الصامدة . . فقد قال الرجل في إصرار، وهم يطفثون في جسمه الناحل السجائر المشتعلة، ويغالب الألم القاتل :

- افعلوا ماشئتم . . فأنا فخور به، ولو عرفت مكانه ما أخبرتكم ولو نزعتم جلدي عن عظامي وأحرقتموه!! كيف أجعل من ابني قزما بعد أن صار هذا البطل الذي يخيفكم!!

وقالت أم فيصل أكثر مما قال زوجها: كنت أحس به بطلا منذ صغره . . فكيف لمن أنجبت بطلا أن تزدرية وتسلمه لأعدائه، إن مافعله عمل مشروع، ولو أعرف مكانه لما أخبرتكم، ولو نزعتم شعري واحدة وراء أخرى، وأظافري أيضا وعيني، فهو أغلى منها، ونحن مستعدان للشهادة والموت ولكنني أخاف من شيء واحد أن تأخذه رافة بنا فيضطر لتسليم نفسه . .

ويصفعها أحدهم فتبصق في وجهه، ويدفعها فتقع على وجهها وتسيل دماؤها فتقول في سخرية :



- حتى ولو قتلتموني وزوجي فسنذهب إلى الله راضين بينما ستحل عليكم اللعنات ، ألا تخشون الله . . أنحسبون أنفسكم مسلمين أيها التتار!!

وتهلل سلطات الاحتلال ، وتعلن أن خطتها العبقريّة قد أدت إلى القبض على المدعو فيصل الشنيان . . ووصفته بالإجرام ، ولم تذكر أنه سلم نفسه طواعية واختيارا في شهامة لإنقاذ والديه .

واختارت إدارة استخبارات المحتل أربع رجالها لإستجوابه وإخراج مافي جعبته من أسرار ، ومن شركاؤه ومعاونوه الذين نفذوا كثيرا من العمليات الناجحة والتي أصابتهم في مقتل ، وأربكت خططهم .

يسأله مدير الاستخبارات :

- ما اسمك ؟

- لقد أخبرتكم عندما سلمت نفسي . .

- وما يدرينا فرما خديعة أخرى ، ولعبة من ألعابك؟!

- إذا كنتم غير مصدقين ، فهذه هويتي . .

ينظر فيها ، ثم يرميها بعيدا فتسقط على بلاط الغرفة قائلا :

- هوية خسيصة كصاحبها ، ومن أصدرها . .

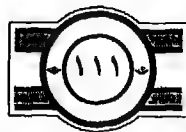
يحاول فيصل أن ينحني عليها ليأخذها فيصرخ فيه :

- لا تتحرك إلا عندما أمرك أيها الجبان .

- أنا لست جباناً وأنت أول من يعرف هذا . .

- بل جبان وطويل اللسان . . وعندما أقول هذا لا تراجعني . . وإلا سأقطعه

لك .



- ما عملك . .

- موجود بالهوية . .

يأمر الجندي الواقف أمامه بإعطائه الهوية، فيأخذها منه ثم يرمي بها تحت أقدامه
ثائرا:

- هذي هويتك اللعينة . . أجب عن سؤالي . .

- مدرس . .

- مدرس ماذا ؟

- مواد اجتماعية . .

- وماهي المواد الإجتماعية هذه التي تأكل من ورائها الخبز!!

- تاريخ .

- ألم يقل لك التاريخ أن هذه الأرض ملك لنا وتابعة للعراق منذ الخلافة
العباسية . .

- ولماذا هذه الأرض وحدها . . لقد كانت تضم الخلافة شعوبا كثيرة، وكانت
رقعتها تمتد من المحيط الهندي حتى المحيط الأطلسي . . فلماذا تفكرون في استعادة هذه
الأرض بالذات، لقد كانت إيران جزءا منها، والجزيرة العربية، والشام . . وغيرها . .
الآن بها النفط . . وبها شعب مسالم!!

ويقاطعه رئيس الإستخبارات صائحا :

- إننا نملك النفوط والتمور، وأربعين مليون فدان قابلة للزراعة يرويهما أعظم
نهرين في العالم دجلة والفرات . .



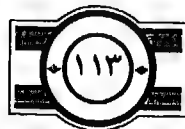
ويستمر فيصل وكأنه لم يسمع شيئا :

- بهذا المنطق الذي تراه فأنتم جزء من أرض فارس أيام الأكاسرة ومن حق إيران أن تفعل ما فعلتم . فبهذا المنطق أيضا من الممكن أن تدعي إنجلترا أنكم من أملاكها . وكذلك تدعي أن ثلثي العالم تابع لها بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية ، ألم تكن من مستعمراتها والهند والصين وأغلب جنوب شرق آسيا ودول كثيرة من أفريقيا . وتدعي هولندا أن شعب أندونيسيا من أتباعها . كما أن منطق اسرائيل بالادعاء بأن أسلافهم كانوا هنا منذ ثلاثة آلاف عام صحيح ، فهل هذا منطق !! فالعالم يتغير ويتجزأ ، فإذا استقر الوضع على أمر دون عدوان على حقوق الآخرين كان وضعاً سليماً . وليكن منطقنا دائما فلنعش ولنندع غيرنا يعيش . هذه هي الحقيقة التي من الممكن أن تهين للأمن والأمان أن يدخلا إلى ربوع هذا العالم المضطرب المذعور من الآخرين . فإن العالم الذي نعيشه الآن مجتمع لا يليق بالإنسان المتحضر . هو أقرب إلى عالم الغابة . من يملك سلاحا وقوة يفترس غيره . أليس هذا واقعنا اليوم ، وهذا ما حدث منكم !!

ويتنفض رئيس الاستخبارات ، وكأنما أزعجه أن يكون فيصل بارع الحججة والمنطق ، وأن يضطره إلى الإنصات وأن يستولي على لبه فيقول صارخا ومموها ومبتعدا عما أثاره فيصل :

- أنا لم أسألك عن تاريخ إنجلترا وهولندا وأندونيسيا . وإنما أسألك عن سبب خروجك على القانون ، والتهمة الموجهة إليك بمناوأة الحكم والاعتداء على بعض أفراد الجيش المظفر والقضاء عليهم في أكمنة نصبتها مما أدى إلى قتل أكثر من خمسين فردا بين جندي وضابط وقائد بجانب الأسلحة التي دمرت .

ويسود صمت طويل يقطعه رئيس الاستخبارات قائلا في تقريع :



- لماذا لا تجيب أيها المدرس وقد جعلت من نفسك فيلسوفا تنظم العالم، وتضع له القوانين ليعيش.. تكلم وإلا قطعت لسانك..

ويجب فيصل في هدوء:

- ماذا تريدني أن أقول، وقد وضعت هذه القائمة من الادعاءات. إن كل دعوى تحتاج إلى دليل والدليل إما اعتراف أو شهادة شهود؛ فإذا كان لديكم شهود فأنا على استعداد لمواجهةهم، فأنا لم أفعل شيئا يخالف القانون..

- أي قانون تقصد!!

- طبعا قانون بلادي.. والقوانين التي ارتضاها العالم بأسره..

- العراق تقصد بيلادي أم..

ويقاطعه فيصل باسمسا وساخرًا:

- أقصد دولة الكويت طبعا..

ويصرخ الرجل في وجهه:

- ليس هناك على خريطة العالم دولة اسمها الكويت.. وحذار أن تستثير غضبي..

- إنك تسألني وأنا أجيب بقدر معلوماتي.. كما أنني لن أخرج من جلدي فهو كويتي.. ولن أستطيع أن أخرج منه مدى الحياة ولو حاولت ذلك..

ويقاطعه الضابط ساخرًا:

- و هل كان لكم قانون.. حتى..

و يبتسم فيصل ساخرًا و مقاطعا:



- نعم... لدينا قانون و دستور من أرقى دساتير العالم و سيطل..

ويقاطعه صائحا:

- ما معنى وسيظل؟! معنى هذا أنك خارج على الدولة والقانون وتناوى

الحكم..

- أي دولة وأي حكم؟

ويصرخ فيه الضابط :

- أي دولة وأي حكم.. العراق طبعاً، العراق الخالد...

- إنك يا سيدي رغم ما تملكه من قوة وسلطات نستطيع بها القضاء على في

لحظة واحدة، فإنني لا أخافك، ولن تستطيع أن تغير هويتي.. ولن أعترف ولن أخضع

إلا لقانون وسلطة بلادي

و ينتفض مدير الإستخبارات فيقول في ثورة:

- إذن أنت تعترف بأنك تقف ضدنا.. إذن كل التهم الموجهة إليك

صحيحة...

- من وجهة نظركم وحدكم.. ولكن العالم كله يؤمن بحق الدفاع عن

النفس.. فلو كنت قد ارتكبت كل ما تدعون أو بعضه فهو عمل شرعي وقانوني..

ولا تظن أنني أخاف الموت، فالموت أهون الأمور على الشجاع.. وكل إنسان سيلقى

مصيره إن لم يكن اليوم فغدا.

- وما دمت لديك الشجاعة، فأخبرنا بأسماء شركائك أو مجوعتك؛ ما دام

الموت هينا عليكم، ولا تخشونه..

ويبتسم فيصل ساخراً ويقول في هدوء:



- أنا لا شركاء لي.. ولا مجموعة كما تقولون.. وكل ما تتهمونني به اعتبره من فعلي وتديري.. ألا يسرك هذا الاعتراف!

- أنا طبعاً يسعدني شنقك أو قتلك، ولكن ليس قبل أن نعرف مجموعتك هذه.. إن عيوننا منتشرة في كل مكان، وسنتزع منك أسماءهم إذا لم نخبرنا بهم طواعية، فوسائل التعذيب لدينا مشهورة بقسوتها وضراوتها.. فالأفضل لك أن تعترف قبل أن نرغمك على الاعتراف.. وإذا لم تنجح وسائلنا هنا.. فسوف نرسلك إلى بغداد لتذوق أشد منها قسوة، وسوف نمزق جلدك، ونطحن عظامك حتى تعترف عن مجموعتك، أما إذا اعترفت وذكرت لنا أسماءهم خففنا عنك العقاب، بل وربما عفونا عنك، وجعلناك من رجالنا.. فما رأيك؟

ويسود صمت طويل فيظن الضابط أنه بسبيل الاعتراف، فيبتسم ويقول:

- هذا شأن العقلاء.. فماذا يفيدك العناد، كما أننا سنعرفهم اعترفت أم لم تعترف.. المسألة كما ترى مسألة وقت ليس إلا..

وأخذ يكرر ما يقوله أكثر من مرة، ولكن فيصل يقول في هدوء أثاره:

- ثق أنني لا أعرف شيئاً عما تقول.. ولا مجموعة لي بالمرّة.

ولكنه يقول في انفعال:

- ولست أنت أيضاً أننا سنصل إليهم، وسنتزع أسماءهم من لسانك واحداً واحداً.. أنتظن أنك قادر على الوقوف أمامنا!

ثم يأمر الجنود أن يأخذوه إلى غرفة التعذيب حتى يقر بأسماء مجموعته.. وأسر إليهم ألا يبالغوا في التعذيب حتى لا يقتلوه فهو دليلهم الوحيد إلى هذا العالم السري الذي بدأ يتحرك ويقض مضاجعهم.



وحاول زبانية التعذيب معه بكل وسيلة، واستخدموا وسائله التي تعجز عنها الشياطين. . ولكنه استسلم لهم دون أن تصدر منه كلمة أو مجرد إشارة تدل على الألم أو الإحساس بما يعانيه وكأنما نسي أن له جسم تطفأ فيه أعقاب السجائر، أو يتعرض للصدمات الكهربائية، وخلع للأظافر. . حتى يشوا منه، وحتى لا يلصقوا بأنفسهم تهمة العجز في مواجهة فدائي عنيذ قرروا إرساله إلى بغداد لتتولى الإدارة الرئيسية استجوابه بنفسها ومعه تقرير يقول بأنه المحرك الرئيسي للمقاومة السرية، وأنها بذلت جهدا كبيرا حتى وصلت إليه. . ولكنه أغلق فمه عن الكلام. . فربما يكون لدى الإدارة العامة من الوسائل ما يجبره على الكلام. . والكشف عن أعوانه بعد أن اشتعلت المقاومة، وأصبحت تشكل خطرا كبيرا.



يقول فالح الشويخ للجوهري:

- لا سبيل أمامك سوى أن تأخذ لبنى وتخرج من هنا قبل أن تتطور الأمور بعد القبض على فيصل حتى لا تحدث كارثة.. اذهب بها إلى الإمارات أو أي مكان.. أو اذهب بها إلى والدتك في دمياط إنها ستسعد بها.

- لا تتصور يا فالح ماذا حدث لنا بالمستشفى.. لقد بكت لبنى كثيرا حتى أنني أخاف عليها فقد أصيبت باكتئاب.. وتظل تبكي وهي جالسة وحدها في الظلام.. إن ما حدث صدمة شديدة على أي إنسان، فما بالك بإنسانة رقيقة مثل لبنى!!

ويحكي له ما حدث لهما عندما ذهبا إلى المستشفى لمراجعة الطبيب بشأن الحمل.. وعندما سألها عن جنسيتها وأخبرته بأنها كويتية انطلق في إهانتها وسبها بأفحش الألفاظ.. وطردها من المستوصف ومزق أوراقها التي تراجع بها قائلا في بداءة:

- ابحتي عن دولة بهذا الاسم، واذهي للعلاج بها..

- لقد بكيت بجانبها وكأنني يتيم فقد والديه.. ماذا نفعل إزاء هذه الظروف فهي أصعب ما مر بنا في حياتنا، إن الموت أهون من هذه الحياة البغيضة التي نعيشها الآن!!

- لست وحدك، وليست لبنى وحدها.. فكل أهل الكويت يتحملون فوق طاقات الاحتمال.. هناك أقسى وأصعب من أن تعيش داخل وطن محتل.. ألا تدري ما هو الاحتلال وأنت الشاعر!! إنه اغتصاب أوسع مما تعارف عليه البشر من هذه الكلمة، حيث تعامل كأنك رقيق في عصر تجاوز فيه الإنسان هذه المهانة الإنسانية وأن تنسى كبرياءك وكرامتك، وأن تتنازل عن رجولتك، وأن يمزق شرفك ولا تستطيع أن تتكلم..



و يقاطعه حامد الجوهري نائرا:

- إنني من اليوم سأخرج بالسلاح، و سأقتل كل من يقابلني من هؤلاء المحتلين . .

- يا جوهري أخرج طفولة الشاعر واندفاعه من إهابك . . فما نقوم به يقض مضاجعهم، ويقلقهم، إنهم يتمنون ما تود أن تفعل فسوف يقضون عليك في أول مجابهة . . ولكن العدو السري الذي لا يُعرف حجمه أو استعداده أو مكانه يُرهب العدو أكثر من العدو المائل أمامه . . وهذه هي قدرته وقوته . .

- ولكن فيصل ذهب وكان قائدنا وقوتنا . .

ويقاطعه المنزلاوي قائلا:

- إذا كان فيصل الثيان قد استطاعوا الوصول إليه فإن الكويت تموج بالأحرار أمثال فيصل، ولقد حل فالح الشويخ مكان فيصل في القيادة وقد خطط للقيام بعدة عمليات كبيرة، وإن كنا في هم لا يفارقنا بسبب ما حدث لفیصل، ولكن ماذا نفعل فهذه هي طبيعة الكفاح والمقاومة .

- ولماذا لم تخبرني بهذه التطورات؟! إنني لا أنام الليل إشفافا على ما حدث لفیصل، ولكنها كما قلت طبيعة المقاومة . . فليس لنا سوى الصبر والجلد .

- كنت يا جوهري مشغولا بلبني ولا شك أننا كنا سنخبرك .

ويسود صمت فيقول محمود أيضا:

- الأفضل أن تباعد عن هذا الجو بأي طريقة كانت، لأنها لو بقيت فلا ندرى ماذا سيحدث لها!!

- وأترك مكاني معكم . . هل هذا معقول!



- قلت لك بأن الكويت ذاخرة بالرجال، ولن ينقص عدد الشائرين برحيلك والمهم أن تكون لبنى بمأمن، وأن تبتعد عن هذا الجو الكثيب الذي سجت فيه . فتوكل على الله وارحل في أقرب فرصة ممكنة قبل أن تتعقد الأمور ولا تستطيع الرحيل، ولا نعرف ماذا يحدث لها. لقد وضعت آمالها في طفلها الذي لم يخرج إلى الحياة، وكانت سعيدة تكاد تطير من الفرح، وفجأة انهارت كل أحلامها وآمالها . انقذها يا جوهري بأي وسيلة . . أنا أعرف أنها سترفض أن تترك وطنها وهو في أزمته ولكن الظروف أقوى منا جميعا . . وهناك أولويات يجب أن نرتبها . . وسأتولى معك إقناعها . . وقد نستعين بفالح الشويخ إذا لم تستجب .

- يعز علي أن أترك الكويت الحبيب في هذه المحنة .
- إن الكويت عزيز على العرب جميعا، وكما وسع صدره كافة العرب فإن صدورهم جميعا ستحميه، وستطرد الباغي، وإن غدا لناظره قريب .
- سأرحل ولكن إلى عودة بإذن الله . .



لم تستسغ لبنى فكرة الخروج من الكويت وتركها في هذه الظروف الصعبة التي لم تواجه مثلها من قبل.. ولكن من حولها بما فيهم فالح الشويخ أقنعوها بأن للضرورة أحكام..

وضعت أغراضها، وبعض ما جمعته لطفلها في سيارتهما الكبيرة الجديدة التي كانا قد اشتريها قبل الغزو بأيام.. وقفوا في «صفوان» للتفتيش... وطلبوا منهما النزول من السيارة، وإفراغ كل ما بها، فتذمرت لبنى من هذا التعنت فقال الرجل:

- وأيضا فتح الحقائب ونزع ما فيها على الأرض، وتركه حتى يأتي دوركم في التفتيش..

وظلا في انتظار هذا التفتيش أكثر من خمس ساعات فقال حامد:

- إنه سمعك، وأنت تتذمرين على طلباته فأراد أن يعاقبنا.

بكت لبنى من هذه المعاملة الشاذة، وأصابتها الحسرة وهي ترى ما أعدته لطفلها ملقى على التراب والرمال تدوسه الأقدام.. أمعقول هذا.. أن تتدنى المعاملة البشرية حتى تكون بهذه الصورة.. أن تتحول أحلام الحكام إلى كابوس يعجشم على نفوس البشر بهذه الصورة وأن يتحول البشر العاديون إلى آلات بغیضة لتجسيد أحلامهم، وسيطا في أيديهم للتنكيل بالآخرين دون ذنب أو جناية!!

وذهب الجوهري يطلب منه أن يأتي بعد أن نفذ طلباته كاملة فقال في غطرسة:

- لن آتي قبل أن تؤدب الحرمة التي معك..

ثم يضيف ساخرا:

- أنا لو مكانك لتزوجت عليها فورا.. ماذا يعجبك فيها!!

ثم تركهما قائلا في أسلوبه:



- اغربا عن وجهي، واتركا ما في هاتين الحقيتين ..

وكان ما فيهما أثنى ما ادخرته لبني لطفها ...

وبعد أن غادرا أخذ الجوهري يهذي، ويقسم أنه لو كان وحده لقتله وليكن ما يكون وأن ما دعاه إلى كظم غيظه وجودها معه، فهي أعز عليه من نفسه .. وظل يردد أبياتا من الشعر تدعو إلى الصبر والجلد في مواجهة هزيمة النفس أمام المحن والخطوب ..

حاول أن يعطيها بعض الطعام، ولكنها رفضت أن تتناول شيئا قائلة:

- إنني أفضل الموت على هذه الحياة المهينة.

- يا لبني .. هذا ما يريدونه، أن نشعر باليأس والإحباط.

- وماذا تريدني أن أفعل بعد أن رأيت أحلامي تتبخر هكذا ... أيسعدك ما

نلاقه .. وكأنه جحيم يلاحقنا في كل مكان!!

وفي مدخل مدينة العمارة تبرر لهما مجموعة أخرى للتفتيش كانت أسهل في التفتيش من سابقتها، ولكنهم طلبوا مقابلا لهذا مسجلا للبني كانت تعترض به لأنه هدية من فيصل الثنيان .. ولكن لا أحد يستطيع أن يعترض .. إنه غصب ولكن بطريقة لم يكن فيها خشونة أو أمر ..

ويبدو أن السهولة كانت تخفي وراءها ثمنا باهظا، فقد طلبوا من حامد الجوهري أن يأخذ معها ضابطا في طريقهما إلى بغداد .. لم يستطع حامد أن يتفوه بالرفض أو القبول ولم ينتظروا منه أي تعليق على قرارهم هذا بعد أن تحولوا فجأة إلى محتلين وسادة وجميع الكويتيين والعرب المقيمين إلى عبيد، فقدوا القدرة على الكلام.

فماذا تقول إذا صحوت من النوم فرأيت أخاك يرفع بندقية في وجهك بلا



سبب . . فماذا تقول له : أتقول له إنني أخوك . . إنه يعرف هذا . . أتقول له : أن هذا لا
يجوز بين أخوين . . إنه فقد الإحساس بهذه الصلة ، فقد مزقها قبل أن يرفع في وجهك
سلاحه !

خرج الضابط من المبنى ، ووقف يتأمل السيارة ، ويبكي إعجابه بها ، ودار حولها
مؤكدًا هذا وأخذ يهز رأسه ، وينظر إلى من بداخلها نظرة عابرة ، وكأنهم لا يعنونه ،
وفتح بابها وقال لحامد الجوهري :

- اجلس بجواري وسأقود أنا السيارة . .

وينظر حامد إلى لبنى نظرة اليأس ، فيراها كوردة ذائلة فيشفق عليها . . ويطلب
منها أن تجلس في الخلف حتى يحقق رغبة الضابط في قيادة السيارة . .
وتنطلق السيارة في اتجاه بغداد بوضعها الجديد ، ويقول الضابط :

- سيارة رائعة . . ملك من منكما ؟

ويسود صمت ، ولكن الضابط يستحثهما على الإجابة بصورة شبه أمر . . فيقول
الجوهري متضايقا :

- ملكنا أنا وهي . .

ويطلب من الجوهري رخصة السيارة فيضطر إلى إعطائها له ، وقد أعماه الانفعال
فسقطت على أرض السيارة ، وتناثرت أوراق كثيرة . .

ينظر الضابط إلى الترخيص ويقول لحامد غاضبا :

- لماذا تكذب إذن . . والسيارة لا تملك فيها شيئا !

- إنها زوجتي . . والمفروض أن ما نملكه مشترك بيننا . .



- مشترك أو غير مشترك.. كنت أود أن أعرف صاحبها لأنني أود شراءها..
فهي سيارة بديعة حقاً.. مرسيدس طراز حديث موديل هذا العام..

لم تطق لبني صبرا فقالت شبه غاضبة:

- ومن أدراك أنني أود بيعها!!

ويجيئها ساخراً:

- أليس من الأفضل بيعها بدلاً من مصادرتها..

سكنت لبني ولم تجب، كان تهديده سافراً، في الوقت نفسه كاد حامد أن ينفجر من الضيق والقهر.. يود أن ينقض على عنقه ليخنقه.. إنه لا يبالي بنفسه.. أو بالموت.. ولكن ماذا سيحدث للبني.. أين كان كل هذا مختبئاً لهما.. وماذا يفعل مع هذا الحيوان الذي تجرد من كل الأحاسيس.. ألا يكفي ما هما فيه حتى يلقي بهما هذا المجنون على قارعة الطريق، ويأخذ منهما السيارة، إنه لص متبجح وسخيف بل غاصب متحجر القلب!!

وكأنه كان يعرف ما كان يدور بنفسهما فقال:

- لا تحملا هما لأي شيء سوف أدبر لكما وسيلة توصلكما إلى عمان أو العقبة..

وبدت لبني متحجرة الملامح تنظر أمامها بلا هدف.. أحست بأن الحياة أصبحت سجنًا بغيضاً.. بل أقسى من السجن، فالسجين يستطيع أن يتكلم وينفس عن نفسه..
ومرت المسافة الباقية إلى بغداد سريعة وقد تاه كل منهم في نفسه.. الضابط سعيد لأن الأقدار ساقته له سيارة فاخرة.. ولن يستطيع أن يرفض أي مبلغ يقدم لهما حتى ولو كان مائة دينار عراقياً.. فما حيلتهما.. لقد كان يود أن يذهب إلى الكويت للعودة بسيارة يحلم بها من التوكيل وبلا ثمن والآن وقد جاءت السيارة فما أسعده..



وأخذ حامد يفكر في الخروج من هذا المأرق الذي لا مخرج منه . . لقد كان أصعب ما مر به . . إنه لا يخاف على نفسه حتى ولو قطع البادية من العراق إلى الشام على رجليه . . ولكنها لبنى وحامل وفي شهرها الأخير . . لقد أطلق الضابط الرصاص عليهما دون مسدس أو بندقية .

ظل الضابط يقطع شوارع بغداد في سرعة قياسية حتى وصل إلى عمارة ضخمة . . وأمهلهما دقائق حتى يعود بثمن السيارة . . وقال :

- إنه سيكافئهما لأنهما حققا له حلمه . . كان من الممكن أن يأخذها بلا ثمن . . ودخل إلى العمارة، بينما أخذ حامد الجوهري يضحك في هيسيرية وانتقل إلى مكان القيادة، وانطلق بالسيارة . . تيقظت فيه روح الفدائي فجأة . . ووجدها الفرصة التي لن تسنح ثانية، وبدا شبح ابتسامة على وجه لبنى . . معجبة بذكاء الجوهري وقالت مشجعة :

- آمنت بأنك عبقرى . . ولكن لاحظ أنه ربما يكون قد أخذ رقم السيارة وهو ضابط كبير على ما يبدو، فقد يتصل بالحدود ويستولي عليها ولن يكون انتقامه سهلاً . . .

- ليفعل ما بدا له . . كما أنني أرجح أنه لا يحفظ رقم السيارة فهو رقم كبير، ولماذا يكلف نفسه حفظ أرقامها وكانت في يده، ثم إنه غبي . . فقد ترك مفتاح السيارة فيها . .

وتوقف أمام محل لبيع "البويات والحدايد" فاشترى "أنبوباً" و"سنفرة" وتوقف في مكان خال قبل خروجه من بغداد وأخذ يزيل اللون عن بعض أجزاء السيارة ويرشها من الأنبوب، وكرر هذه العملية في أكثر من موضع حتى أخذت السيارة شكلاً يختلف



تماما عن شكلها السابق . . زيادة في الاحتياط قررا البقاء في بغداد لمدة يومين حتى ينتهي من البحث عنهما إذا أراد هذا . .

وكانت لبنى حزينة بائسة، فقد تحولت حياتهما إلى قلق، وأصابتهما الهواجس . . بتغير الدنيا فجأة إلى هذه الصورة الكثيفة، وأن تتحول أطماع فرد أو قلة من الناس إلى مصدر لشقاء الملايين من البشر، وعلا وجهها شحوب وصفرة، وتملكها خوف، فأصبحت تجفل من أي حركة، ولا تأخذ كفايتها من النوم، فالسيارة مأواهما، وأخذ الجوهرى يخفف عنها بحكايات وقصص ويسمعها من الراديو أخبار الحشود العسكرية التي بدأت تحتشد على حدود الكويت، والسفن الحربية، وحاملات الطائرات التي أخذت طريقها إليه لإنقاذه من مخالف الاحتلال، ويؤكد لها أنها ستعود إلى وطنها وبيتها . . وأنها أزمة طارئة وأن كل شعب معرض لهذه المحن، وصلابة الشعب هي التي تذيب كل هذا وتقف كالصخرة في وجه أي معتد والشعب الكويتي في الداخل والخارج صامد لا يلين، وسيكون ما حدث أزمة طارئة في حياة هذا الشعب الوائى . .

وخرجوا من بغداد متجهين إلى "الرمادى" . . وانضموا إلى مجموعة من المسافرين الفارين من جحيم الاحتلال، وطلب حامد الجوهرى من إحدى الأسر كثيرة العدد طفلا وطفلة ليركبا معه وفهمت لبنى هدفه من تضليل الضابط إذا أصر على متابعتهم بالإضافة إلى هذا كان الجوهرى يريد أن يغير جو السيارة، ويدخل عليه البهجة ومرح الأطفال فلعل هذا يسلي لبنى ويسعدها وساروا في قافلة حتى وصلوا الرمادى، ووقفوا للتفتيش وهناك برز موظف وأخذ يدور حول السيارة ويردد:

- لا يمكن أن تكون هي . . لا . . لا، لا شك أن هذه سيارة أخرى .

وصرحوا لهم بالمغادرة . . وانطلقت القافلة من جديد ولم يبق أمامهم سوى مركز رئيسي للتفتيش في منطقة "الرطبة" على الحدود مع الأردن . . وهناك أخذوا يفحصون



السيارة من جديد ويهزون رؤوسهم . . وكأنهم يبحثون عن شيء ، ولا يجدونه . . وأن بعض الشك يساورهم في كل سيارة تمر من طراز سيارة حامد الجوهري ولبنى . . ولكن ما فعله الجوهري بالسيارة جعلها تبدو في صورة غير التي رسمها لهم ذلك الضابط . . ولذلك لم يمانعوا في إعطائها الإذن بالمرور .



بعد أن غادرا الحدود العراقية أخذ حامد يسابق الريح وكأنه يفر من جحيم بالإضافة إلى أن الجو قد تغير وأصبح لطيفا إلا أن لبنى بدأت تشكو من آلام كثيرة في بطنها وظهرها وأسرع الجوهرى بها إلى المستشفى في مدينة العقبة التي مر بها لأول مرة.. مكثت فيه أياما تعاني آلام وضع مبكر شديدة.. وأصابها نزيف حاد..

وقضى الجوهرى أياما صعبة لم يذق فيها طعم النوم سوى فترات متقطعة أثناء جلوسه على مقعد في غرفة الانتظار في المستشفى، وحاول الأطباء معه دون طائل أن يذهب إلى فندق للاستراحة فيه ولكنه أبى إلا أن يكون قريبا من لبنى وعلى بعد خطوات... منها وخرج الطبيب أخيرا من غرفة العمليات متجهم الوجه وقال للجوهرى الذي كانت عيناه مركزة على شفتيه:

- حمدا لله على سلامة لبنى وربنا يعوض عليك في المولود.

ما أصعب على الإنسان أن يتبخّر الأمل بعد أن ظل يتشبث به قرابة تسعة أشهر.. كان الجوهرى يرجو أن يمن الله عليها بمولود يدخل على حباتها بعض العزاء والسلوى بعد ما مر من خطوط أفسدت طعم الحياة، وغلّفتها بالمرارة والقسوة، ولكنها الأقدار!

إن وقع الأمر على لبنى لن يكون سهلاً، بعد هذا الجهد الذي تعرضت له نفسيا وبدنيا في الطريق وفي الكويت.. لقد مرت الأيام بطيئة ثقيلة وادخرت لها هذه النهاية المريرة.. ودخل إلى لبنى يهدئ من روعها ويهئها بالسلامة، ولكنها كانت متحجرة الوجه والملامح، تعاني من ضغط نفسي وعصبي شديدين.. إنها لا تبكي ولا تتألم ولكنها لا تتكلم أو تشكو.. ظلت على هذه الحال يوما كاملا.. وأخيرا انتفضت من فراشها مدعورة وقالت:

- أين ابني يا جوهرى.. لا يمكن أن يدفن بعيدا عن أرض الكويت أرض آبائي

وأجدادي.



وأخذ الجوهري يهدئها، ويؤكد لها أنه سيحقق لها رغبتها، وشعر ببعض الراحة لأنها لا زالت تعي كل شئ حولها، وأن الصدمة الأخيرة لم تذهب بعقلها.. بعد أن قابلت الكثير.

وأصرت على أن يدفن طفلها في أحشاء أرض الك...، وأن هذا سيشعرها بالراحة ويكون قريباً منها تزوره في أي وقت...

ولكن كيف يمكن تحقيق هذه الرغبة.. وهما في العقبة في الأردن!

ولم يستطع الجوهري أن يهضم الفكرة أو يتخيل طريقة لتنفيذها، ولكنها طلبت الطفل وألبسته أعلى ما بقي من ملابس، وطلبت من الخدم أن يجهز السيارة.. وأن ينطلق بها عبر الحدود السعودية الذاهبة إلى الكويت واشترت ثلاجة صغيرة وملأها بالثلج وأدخلت جسم الطفل في كيس من النايلون يمنع عنه الماء، كل هذا والجوهري وقف مشدوها كأنما يشاهد حلماً..

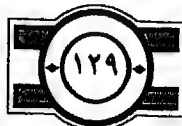
وطلبت من الجوهري أن ينطلق بأقصى سرعة إلى «السالي».. حيث تستطيع الدخول ثانية إلى الكويت.. وقفت أما الضابط العراقي الذي يقف على رأس كتية من الجنود وقال لهما بعد أن أخضعهما لتفتيش صارم، ونظر إلى جوارهما:

- لماذا خرجتما من العراق إلى الأردن.. ثم جئتما من هنا.. ثم ماذا تحملان؟
جثة طفل.. ما هذه الألبسة!!

ويقول الجوهري في ضيق:

- يكفيني ما نحن فيه يا سيدي.. طفلنا ونريد أن ندفنه حيث يكون قريباً منا..
أهناك مانع؟

وبعد أخذ ورد، وتفتيش ذاتي لهما صرح لهما بالدخول، وهو ينظر إليهما متعجباً قائلاً في سخرية لزميله:



- لا أظن أنهما أكثر من مجنونين .
- ثم يلتفت إليهما متابعا حديثه:
- انطلقا وادفنا حلمكما حيث شئتما، حتى ولو في قاع الخليج .
- وتوجهها رأسا إلى الصليخات حيث أقاما مراسم الدفن بمساعدة بعض الموجودين في المقبرة، ووقفت لبنى أمام قبر ابنها قائلة:
- أعاهدك يا حلمي الذي وأدوه أن أنتقم لك ممن اغتالوك واغتالوا حلم العرب وكل مظهر من مظاهر النبل والطهارة في حياتنا .



كانت عودة فيصل الشنيان المفاجئة مثار دهشة وحيرة زملائه ومجموعته . . كيف استطاع أن يفلت من براثن الأسد بعد أن أمسك به ، وأن ينجو من الخطر بعد أن احتواه ، لا شك أنه إنسان نادر ، بل أسطورة ستتناقلها الأجيال . . تركه زملاؤه أياما للراحة . . وطلب منهم توخي السرية والحذر في الاتصال به ، وأن يكون لقاءهم في الليل . . في تمام الثالثة صباحا في نهاية ملعب مدرسة السالمية المتوسطة بجوار السور الفاصل بينها وبين مدرسة هند ، وكان هذا هو اللقاء الأول يختارون مكانا آخر بعدها للقاء الثاني . . لرسم الخطط لمواجهة المحتل وإقلاقه وعدم إعطائه فرصة للاسترخاء ، وفي كل مرة يختارون مكانا آخر للقاء . . .

وأخذت الأسئلة تنهال عليه في أول لقاء عن الطريقة التي أفلت بها من بين أيديهم ، كان يحاول أن يهرب من إلحاحهم حتى يركز على الخطط الجديدة . . ولكنهم أصروا على أن يذكر لهم ما حدث ؛ وبين ليلة وأخرى كان يحكي لهم طرفا من مغامراته العجيبة مع جيش الاحتلال . .

كانوا يستطيعون الفتك به . . فما أهونها من رصاصة بندقية وينتهي الأمر ، ولكنهم كانوا يريدون زملاءه ومجموعته أو مجموعاته التي يقودها ؛ فعيونهم التي بثوها في أنحاء الكويت لقصورها تصورت أن فيصل الشنيان هو قائد المقاومة السرية المنتشرة على أرض الكويت كلها ولم يدركوا أن غالبية الشعب رجالا ونساء تحولوا إلى مقاتلين ، إلا أن فيصل لم امتازت به هجماته - إذ غلبت عليها الجرأة والدهاء - ظنوا أنه قائد المقاومة السرية بأسرها . . ولذلك احتفظوا به حتى يقر باسماء معاونيه ومنهم بالتالي يضعون أيديهم على حركة المقاومة .

وكشف لهم فيصل عن الطريقة التي عاملوه بها وآثارها الواضحة على جميع أجزاء جسمه من حروق وندبات بدت كسطور تسجل القسوة والوحشية . . حتى أظافره



انتزعوها، ولكنه لم يلبس لهم ولم يظفروا منه بشيء.. فاضطروا لإرساله إلى بغداد ليداروا فشلهم معه.. واقتيد مقيد اليدين في سيارة خاصة مع جنديين للحراسة لإدارة الاستخبارات العامة هناك..

قال أحد الجنديين له:

- إذن أنت قائد المقاومة التي أفلقت قيادة الجيش -الذي لا يقهر- في محافظة الكويت، سترى في بغداد ما يسرك!!

ويقول له الجندي الثاني محذرا:

- انتبه للطريق أولا، ودع ما سيحدث له هناك فبطريفتك هذه سوف لا تصل إلى بغداد جميعا..

- لا تخف فأنا سائق في إدارة الاستخبارات من عشر سنوات والإدارة تستدعيني للمهام الصعبة والعسيرة، وقد حذروني من هذا المتهم، وأخبروني أن رقبتني مرهونة بوصوله إلى الإدارة العامة.. وقالوا إن هذا المتهم ماهر وصاحب ألاعيب وحيل وقد يخدعك.. فلا تجعل عينك تغفل عنه..

- ما اسمه يا حميد..

- فيصل الثنيان..

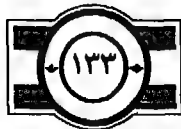
ثم يتابع حميد بعد صمت قصير:

- على كل حال يا شاعر أنت تجلس خلفنا ومعك السلاح فإذا ظهرت منه أي حركة.. فاضرب في المليون، ولكن لا تقتله.

ويردد شاعر:



- فيصل الثنيان يخيل لي أنني سمعت هذا الاسم من قبل، لقد سمعته قبل الحرب، ولكن أين.. أين كنت تعمل يا فيصل؟
- شجعته لهجة شاكر الودودة فقال:
- في حقل التدريس..
- أي مادة..
- التاريخ.
- أنت لست عسكريا إذن.. فلماذا لا تدع ما تقوم به للعسكريين؟
- إن الدفاع عن الوطن واجب كل مواطن.. وليست فرضا على العسكريين وحدهم.
- وما رأيك فيما حدث؟
- ويتنهد فيصل تنهيدة واضحة ويقول:
- تسألني رأيي.. ما رأيك لو احتلت سوريا العراق؟
- ويسود صمت.. ويعود شاكر سائلا:
- أين كنت تعمل في حقل التدريس.. أقصد في أي مدرسة؟
- كنت أعمل مدرسا في ثانوية الشويخ ثم أصبحت الآن ناظرا لمدرسة كيفان الثانوية.
- أكان يعمل معك في ثانوية الشويخ مدرس عراقي اسمه..
- ثم يضرب عن تكلمة الحديث، ويسود الصمت ثانية..
- ويعقب حميد قائلا:



- ألم أقل لك إنهم حذروني من هذا الوغد . . لا تسأله عن شيء فلن يجيبك عن شيء . . ولو كنت من مدير المخابرات لأطلقت عليه مائة قذيفة مدفع . . ولأجعلن أكبر جزء فيه لا يزيد عن حبة رمل بعد ما فعله بأفراد لا يحصون من قواتنا . حصدهم غيلة وغدرا ولو كان شجاعا لقابلهم وجها لوجه . . احذر كما قلت لك ، ولا تدع البندقية تباعد كثيرا عن رأسه . .

- مفهوم . . مفهوم . . يا حميد فأنا أعرف واجبي جيدا . .

وتظهر ملامح البصرة من بعيد . . فيقول حميد:

- ما أعظم هذه المدينة . . إنني أحبها أكثر من بغداد، بل من أي بلد في العالم .
- طبعاً أليست بلدك، ومسقط رأسك، وأنا لو منك لما غادرتها فهي مدينة تاريخية . . كما أنها ثغر العراق، ونافظته على البحر، وتحتضن أرض التمور . . أجود تمور العالم . . «البارحي» سيد التمور بلا منازع . .

ثم يضيف في رجاء:

- إذن لن تعترض على أن أزور أهلي بالبصرة لمدة ساعة أو ساعتين يا شاكر . . ؟
- براحتك يا حميد . . هذا أقل ما يجب عليك نحو أهلك وربك، تمر من هنا ولا تراهم . . نحن مقبلون على حرب مع هذه الأمم التي تحتشد حولنا . . ولا ندرى ماذا سيحدث . . ليت الظروف تتيح لي هذه الفرصة .

ولم يصدق حميد خبرا فاتجه فور دخوله إلى البصرة إلى المنطقة التي يسكنها أهله . . وأخبره أنه سيلحق بهما في جزيرة السندباد بعد ساعتين أو ثلاث على الأكثر . .



بعد أن انصرف حميد، كانت المفاجأة المذهلة إذ أخرج شاكراً مفتاح القيد، وفتحته وقال لفصيل:

- أنت الآن حر يا أخي.. ولا تعجب، فإن لك قصة طويلة معي، فأنت أخي -كما قلت لك- ولكنك لا تدري..

ويتابع فيصّل وهو يقصّ على زملائه ما حدث بينه وبين شاكراً فيقول:

- أذهلّني المفاجأة حقاً، فهو يناديني بأخي.. كما أن له قصة طويلة معي..
لأنني لم أره من قبل.. إن الأمر أشبه بالحلم، والحلم هو الذي يمكن أن يرى فيه الإنسان الأرض سماء، والسماء أرضاً، ويمشي على الماء ويمشي الهواء.. وقد ساورني أيضاً أنه شخص فقد عقله من هول الحرب التي خاضتها العراق مع إيران ثماني سنوات وأكثر..
أخذت أقلب الأمر على وجوهه، ولكنني لم أعثر له على وجه أوظهر أو ذيل..
فقلت لنفسي: لعله يقصد المزاح، فالبنديّة في يده، ويستطيع -إن بدرت مني بادرة- أن يعيدني إلى القيد تحت تهديد البنديّة، فإذا لم أرتدع فطلقة واحدة تنهي أمري ولن تكن هناك أسئلة أو ملاحقة له على ما حدث، فكل ما يمكن أن يقوله تبريراً: حاول الهرب فقتلته..

أما هدفه من هذا المزاح فقد يكون التسليّة.. فحياة الجنديّة، أوامر وطاعة دون مناقشة أو فهم.. فما المانع أن يمزح الجنود مع فئران التجارب، وجميع أفراد الشعوب المغلوبة أو المحتلة فئران تجارب بل ربما تكون في نظر المحتلّين الغاصيين أدنى مرتبة..
وهذه كارثة البشر من يوم آدم حتى الآن.. الإنسان ينتظر الفرصة ليأكل أخاه الإنسان أو يشرب من دمه أو يجرده من عرض الدنيا نهبا وسرقة مقابل حقوق يفترضها لنفسه، ويدعيها دون خجل أو حياء..

جالت هذه الخواطر بنفسي فقلت مارحاً أيضاً:



- لعلك يا سيدي ألقت قصة في ذهنك تنتهي بمقتل فار لا حيلة له، ولا أمل في نجاة.. فأردت أن تدعني أصعد إلى خشبة المسرح ثم تنهي المسرحية بهذه البندقية أو هذا المسدس..

فهز شاكر رأسه وقال جادا:

- إنني لا أفهم مما تقول شيئا، ولا أظن أنني في مثل ثقافتك فأنا خريج مدارس الشرطة.. أما رجال التعليم فلهم ثقافتهم، ولهم عالمهم الواسع.. وأنا أجلبهم وأقدرهم..

ويحار فيصل بما يقوله شاكر فيقول:

- إذن ماذا تريد مني بفك قيودي..

ويقاطعه شاكر:

- لا تحمل الأمور أكثر مما تتحمل يا سيد فيصل.. فما أقوله ليس مزاحا، ولا يحتمل التأويل.. كما أن هذه الحرب لا تحظى بتأييد كل العراقيين.. فهل من المعقول أن يتحول شعب بأسره إلى آلات لتنفيذ أوامر حاكمه مهما كانت صائبة أو غير صائبة.. ولكنها الديكتاتورية التي تندد بالصوت المعارض.. ماذا فعل بنا الكويت حتى نذيقه هذه الأهوال من قتل وتشريد ونهب وغصب.. إن غالبية الشعب العراقي ضد هذه الهجمة التتريية التي لا مبرر لها.. ولكن أين الساحة التي يمكن أن يقف فيها المعارضون.. بعد أن امتلأت بجثث الذين سبقوهم، ولكن مع الأسف يبدو أمام العالم، وكأن الشعب العراقي راض عن هذا الاحتلال البغيض.. إن الاحتلال كارثة على الأعداء عند ذوي الفطرة السليمة، فكيف يكون على الأشقاء والأهل؟!!

إنها وصمة كبرى في تاريخ العراق.. وستمزق التضامن العربي، وستتأخر كافة



أشكال التكامل والتعاون العربي لأجيال، وسنظهر أمام العالم وكأننا قبائل بدائية
متناحرة!

كنت مذهولا بما أسمع و بمأحدث فسألته وأنا أشد على يده:

- ولكنك تخاطر بحياتك مقابل ما فعلته الآن معي . . قد تكون نظرتك للأمور
طبيعية وإنسانية . . ولكنني حتى الآن لم أجد ما يقنعني بإقدامك على هذه الخطوة
الجريئة دون ندم، وأنا لا أريد أن أستغل شهامتك . . فسوف تدفع ثمننا غاليا، كما أود
أن أشعر بأنني لست في حلم، ولكنني متيقظ، و أن هذه هي الحقيقة . .

فضحك شاكر وقال:

- إنني سأعطيك الدليل الآن حتى لا تذهب بعيدا . . أود أخيرا أن أعرفك
بنفسي، وكان المفروض أن أبدأ بهذا، و لكن الحديث جرننا إلى نواح بعيدة . . فأنا شاكر
السامرائي شقيق كاظم السامرائي . . هل تذكره؟

و يتابع شاكر و قد امتلأت عيناه بالدموع:

- ألم تعطه دمك يوم حادثة الأحمدى . . ألم أقل لك إنك أخي!! لقد أخبرنا
بكل شيء، وشهامتك معه، فظل اسمك في ذاكرتي لا يضيع.

و يقوم فيصبل ليعانقه . . مرددا:

- فعلا . . إن ما تقوله حقيقة، ولكنها أغرب من الخيال.

بينما يقول شاكر:

- إن الخير لا يضيع أبدا، حتى لو ألقيت به في المحيط!!

ثم يتابع في أسى:



- ألا تعرف شيئا عن مصير كاظم . . إنني لم أعثر علي أحد يخبرني إذا كان حيا أو ميتا . فقد كانت زوجته وأولاده في العراق قبل الاحتلال ، وكان وحده موجودا بالكويت، وجئت أكثر من مرة أبحث عنه في مسكنه، ولكنني لم أعثر له على أثر . .
ويروي له فيصل قصة كاظم، وكيف استشهد وهو يقاوم احتلال بلده . . فيبكي أخاه ويقول:

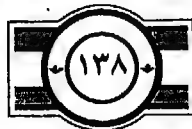
- لقد كان أخي وأبي في نفس الوقت . .

- رحمه الله رحمة واسعة، لقد كان رجلا جديرا بالاحترام.

- لقد كان هذا الاحتلال وبالا على العراق أكثر مما كان وبالا على الكويت وها هي الدول بل العالم كله تقريبا يتجمع بأسلحته في البر والبحر والجو لقتالنا إذا لم نخرج صاغرين . . وأنا أدرك حسب معلوماتي ومعرفتي بحكامنا أنهم لن يخرجوا من الكويت إلا مرغمين . . فقد دخلوها يدرأون بها عجزا وتغطية لثأني سنوات من الحرب مع إيران، وظنوا أنهم يقدمون رأس الكويت على طبق من ذهب. تعويضاً عن الدمار والخراب، ومئات الآلاف من الشباب الذين ضحوا بهم على مذبح أحلامهم وأوهامهم . . فلم يجدوا سوى الأخ الشقيق المسالم ليذبحوه، وظنوا أن الأمر سيكون نزهة، ولكن السماء ملبدة بالغيوم السوداء الكثيفة، وهم يظنونها أو يوهمون الشعب بأنها مظاهرة كاذبة، ولكنني أرى أنها ستكون كارثة . .

ثم يقول وهو ينظر إلى ساعته:

- لقد سرقنا الوقت، وأن لك أن تمضي قبل أن يأتي حميد، وأنا سأوصلك الآن إلى مكان قريب من جزيرة «فيلكا»، وهي أقرب مكان من هنا، وهناك تدبر أمرك فستكون على أرض كويتية . .



ويتابع فيصل:

- واصطحبني في السيارة، واشترى لي الملابس والطعام وأوصلني إلى من عهد إليه ليوصلني إلى جزيرة «فيلكا» على أساس أنني تابع للاستخبارات، ولا بد من نزولي في الجزيرة في أقرب وقت..

وكان لا بد لي أن أطمئن على مصيره بعدما فعله معي فقال:

- اطمئن.. فكما قلتَ قبل هذا.. إنهم لا يحاسبوننا على فئران التجارب.. وسأنتحل أي عذر، وما أسهل الأعذار في هذه الأمور، وما أسهل على أن أخبرهم أنك حاولت الهرب بأن ألقيت بنفسك في مياه "شط العرب" فصرعتك بالرصاص، وأن الجثة موجودة بمسرحة البصرة.. من يتحرى الحقيقة في بلاد هذه حالها، يكفي أن تهتف بحياة الزعيم، وينتهي كل شيء فهو الأول والآخر، وهو فوق كل شيء.. ما أبغض الديكتاتورية!!

ومرت رحلتي إلى جزيرة فيلكا خلال مياه الخليج سريعا، لأنني كنت لا أزال أعيش داخل قطر الدائرة التي خطها شاكر السامرائي برجولته وأخوته وفهمه الصحيح لحقائق الأخوة والجوار، وتقديره للمعروف والجميل.. وحزني لما أصابه من اكتئاب وأسى لفقد أخيه، وبسبب هذا الاحتلال الذي حط كطائر النحس والشؤم على الخليج بأسره.. كما أنني أصبحت أسير معروف عائلة السامرائي من الآن وحتى آخر يوم من حياتي.

ويواصل فيصل حكايته مع المحتل وقد امتلأت عيناه بالدموع:

- وعندما وضعت قدمي على أرض جزيرة فيلكا شعرت بأن قامتي اردادت طولا، وأدركت أن أرضنا أرض الخير، وأن ما زرعناه من أخوة وصداقة وحب.. فإننا نجني ثماره في هذه الأيام، وأن هذه المحنة التي نمر بها الآن جعلتنا ندرك أننا كنا على



صواب، وأن مشاعرنا نحو أشقائنا كانت كترا مدخرا لنا، فهؤلاء إخوتنا في العالم العربي والإسلامي يرسلون شبابهم بأسلحتهم مع شعوب العالم المتمدن -الذين أثارهم عودة الانسانية إلى جهالتها، وأسلوبها العتيق في الغزو والهمجية، فهبت مع الأشقاء لردع هذا العدوان الأخرق.. . أليس هذا فخارا لنا، وعلينا ألا ندع العدو يهدأ أو يستريح لليلة واحدة.. .



سأل فيصل الثنيان فالح الشويخ عن مجموعة من الشباب، وأصبح لا يراهم وهم
الروضان، والمشاري، والجمعة، والشملان. وقال في ضيق:

- أين ذهبوا، ولماذا لا يحضرون لقاءاتنا؟

فيجيبه فالح في حزن وأسى:

- لم نشأ أن نستقبلك بالأنباء السيئة.. فنحن نعرف مدى حزنك لفقد أي فرد
من المقاومة، ونذكر وزن كل منهم لديك، بعد أن قاموا بعمليات بطولية وفدائية ستظل
ذكرها حية مهما تعاقبت الأيام والسنين، فمن من الكويتيين ينسى الروضان وقد استطاع
أن ينسف سيارة مصفحة بقنبلتين يدويتين في أقل من دقيقة، وينجو منها جندي واحد
يطلق عليه الرصاص.. أمام منزله عندما جاءوا للقبض عليه.. فاستشهد قبل أن ينالوا
منه.. وهكذا مضى ونحن في أشد الحاجة لجرأته وبسالته..

ويقول وقد اغرورقت عيناه بالدموع:

- رحمه الله رحمة واسعة لقد كان رغم شجاعته الفائقة يملك قلب طفل يتلئ
بالحنان والحب، ومضى كبطل.. لقد كان ثروة قومية، عوضنا الله فيه خيرا..

وقبل أن يسأل فيصل عن الباقي قال فالح:

- عرف أصدقائهم المشاري والجمعة والشملان أن الروضان ذهب بوشاية أحد
عيون الجيش المحتل.. فقد رآه أحدهم متخفياً يتسلل إليهم تحت جناح الظلام وأمسك
بهذا الخيط، وظل يتبعه حتى عرف أنهم يلتقون به في مزرعته في مكان بعيد قريبا من
الحدود، ويبدو أنه كان مجندا في استخبارات العدو قبل الاحتلال بمدة طويلة.. لأنه
اكتسب الجنسية (وكان بدونها) منذ سنوات قليلة كما عرفنا من تحرياتنا بعد استشهاد
الروضان..



وصمم الثلاثة على الانتقام، وأن يكون انتقاما يوازي حجم البطل الشهيد..
فأخذوا يتتبعون كل حركة لهذا الخائن.. وجاءتهم الأخبار بأنهم سيقضون ليلة العيد في
مزرعة هذا الخائن.. الذي أعد لهم كل ما يشتهون من طعام وشراب حتى النساء
أحضرن من البصرة في سيارة عسكرية ذهابا وإيابا.. وعرفوا من مصادرهم أنهم
سيأخذون طريقهم إلى المزرعة في التاسعة مساء، فسبقوهم إلى هناك حيث اختاروا
مكانا قريبا يستطيعون منه أن يراقبوهم دون أن يروهم..

وأصر حمد الروضان ابن البطل الشهيد على أن يذهب معهم ليشهد انتقام
إخوان والده وشركائه في الكفاح من أعداء الوطن، وطلب منهم أن ينضم إلى المقاومة
فاشترطوا عليه إذا أصر على رغبته أن لا يحمل معه سلاحا في أول الأمر، وأن يشاهد
المعركة عن بعد وأن يلجأ إلى أقرب بيت إذا أحس بالخطر.. وأن لا يسلك الطرق
المرصوفة..

وجاء الخائن ومعه ضيوفه.. وبدأوا حفلهم، ويبدو أنهم كانوا يقيمونه
أسبوعيا.. فكانت العبارات تتناثر منهم وسط سكون الليل:

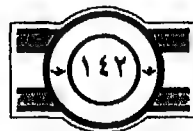
- لماذا لا نقيم الحفل في قصر من القصور التي استوليت عليها، بدلا من أن
تأتوا بنا هنا كل أسبوع، وكأننا لم نجد بين الناس مكانا لنا.

ويرد صوت آخر:

- فعلا.. أنا كل أحلامي أن أرقص بين الناس فلماذا نترك العاصمة ونرحل
لأرقص أمام عشرة أشخاص أو أقل، وكأنني راقصة قطاع خاص...

ويجيبها صوت آخر:

- يا عيب الشوم.. هذا والله ما يصير!!



وتتردد ضحكات في الظلام . .

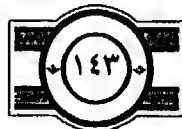
وعندما اكتمل جمعهم . . اغلقوا الباب ولم يمض وقت طويل حتى سمع صوت الموسيقى مختلطا بصوت الراقصات والأغاني .

كانت الخطة تقضي باصطيادهم وقت انصرافهم في نهاية الليل ، وهم سكارى . . حتى يمكن القضاء عليهم جميعا أو اصطياد أكثرهم على الأقل . . ومضى الليل بطيئا تطاردهم الرياح العاتية في الخارج ، كما روى لي حمد الروضان ، وسكنت أصوات الحفل لمدة طويلة في نهاية الليل . . وأخذوا يشاهدونهم ، وهم يجمعون أغراضهم ، ونظر واحد منهم وقد فتح الباب وهو يصيح بأن الفجر قريب ثم أغلق الباب وهو يغني ويتميل . .

انتقل الثلاثة بأسلحتهم ، وقسموا أنفسهم على هيئة مثلث . . في الحديقة . . رأسه عند مدخلها وآخر في عمقها يمينا وآخر شمالا . . وتركوهم حتى توسطوا الحديقة . . وما كادوا حتى انطلقت أسلحة الثلاثة تحصدهم . . وبعد أن انتهوا من مهمتهم التقوا يشدون على أيدي بعضهم البعض . . وقبل أن يرتفع صوت حمد محذرا إذ تحرك جسم أحدهم ، وكان يتظاهر بالموت فأطلق الرصاص من مدفعه على ثلاثتهم من ظهورهم . . فسقطوا شهداء على أرض المعركة .

ثم ينهي فالح قصته عن الأبطال الأربعة قائلا :

- ولقد قال لي حمد الروضان الذي شاهد المعركة . . لقد قابلوا هذا العدد الكبير بشجاعة نادرة . . وإنني لو رزقني الله أبناء بعددهم لسميتهم المشاري والشملان والجمعة . . لقد قضوا على هذا العدد الكبير وكان أولهم هذا الخائن الذي أحسن إليه الكويت ، ولكنه أبى إلا أن يخون اليد التي أطعمته ، وقدمت إليه المعروف . .



كانت عودة فيصل الثنيان بمثابة وقود أشعل نار المقاومة، فازدادت لهيباً، وانضم إليها أعداد كبيرة من الشباب المتحمس والرجال بل والكهول والفتيات، والنساء، واستطاعت لبنى أن تكون مجموعة فدائية من الفتيات والنساء، وكان حماسهن للقاء المحتل وقتاله لا يقل عن حماس الرجال.. وكانت لبنى موضع فخر بنات جنسها، فقد استطاعت بجراتها وشجاعتها أن تضرب المحتل ضربات موجعة.. على انفراد متى سنحت الفرصة، وفي مجموعات إذا كانت العملية تستدعي وفرة العدد.. فقد كانت هوايتها اصطيد الأفراد الذين يسرون بمفردهم بعد أن أتقنت الرماية على يد فالح الشويخ، وكانت تختار العمارات الضخمة المتعددة الطوابق لتصطاد العابرين وحدهم.. وأوقعت بعدد كبير منهم وساندها جماعة من الفتيات، كن يسرعن إلى حمل الجثث من الطريق، ووضعها في الأدوار السفلى من هذه العمارات حتى يمكن التخلص منها، ولكن سرعان ما اكتشف العدو غياب بعض أفرادهم، وجدوا في البحث، وتعرضت المساكن للفتيش عن هذه الجماعة التي تتعقب أفرادهم وتقضي عليهم أو تأسرهم.. وتذهب بهم إلى أماكن مجهولة أو تلقي بهم في الخليج..

و ذات مساء.. كان القمر بدرًا.. واختارت لبنى عمارة في الطريق الدائري الرابع كانت مؤجرة كمساكن لأساتذة الجامعة، ولكنها أصبحت مهجورة بعد الاحتلال.. وضعت سيارتها "لاندروفر" أمام المبنى لنقل الصيد.. وجلست خمس فتيات من مجموعتها على عتبات السلم الداخلي يلبسن جميعاً زياً موحدًا -أوفرول- رصاصية وفي حزام كل منهن مسدس وخنجر في انتظار الإشارة المتفق عليها، والإشارة المتداولة بينهن هي طلقة رصاص من مدفع صغير تحمله لبنى في كتفها.. وهي إشارة واضحة بأن الصيد قد وقع في الفخ، فينطلقن بأقصى سرعة ممكنة لسحبه للداخل، حتى تحين الفرصة لنقله إلى السيارة التي تسير عبر دروب ومسالك غير مطروقة حتى تصل إلى الصحراء، وفي ساحتها ترمى هذه الجثث داخل أنفاق اتفقن مع بعض سكان الصحراء على حفرها، وإهالة التراب على الجثث قبل بزوغ الصباح.



كان القمر بدرا، وأخذ جنديان مخموران يرفعان عقيرتهما بالغناء وبدا سكرهما واضحا. . وارتفعت ضحكاتهما حتى ملأت الطريق الخالي، وأخذ أحدهما يروي طرفه ماجنة بصوت عال، وكاد أن ينتهي منها لولا أن أسكتته رصاصة لبنى فدفنت وقاحته داخل حلقه. . فخر مضرجا بدمائه، فأخذ الآخر يجري صارخا ملتاثا. . لقد قتلوه الشياطين الملاعين. . أدركونا. . الحقونا.

ولكن لبنى عاجلته برصاصة ثانية، فخر صريعا على بُعد من الآخر.

سمع ثلاثة من جنود الاحتلال الرصاص والاستغاثة، فسرعان ما انتشروا في المكان، ورأوا أحد الجنديين، وكان في النزاع الأخير فأخذ يشير بيده نحو السطح. . فهم الجنود معنى إشارته فانطلقوا نحو باب العمارة. . كسروا الباب المغلق برصاصهم، واندفعوا داخل المبنى. . وشاهدت الفتيات الموقف من زاوية بعيدة فتحصن خلف ساتر من الخشب وضع "كديكور". . وأيديهن على زناد مسدساتهن. .

تلفت الجنود يمنة ويسرة فلم يجدوا أحدا، فاندفعوا نحو الدرج، وأخذوا يصعدونه في سرعة، أدركت الفتيات أن نهاية لبنى قد دنت. . فمهما كانت شجاعتهما أو جرأتهما فلن تستطيع أن تغلب على ثلاثة جنود مدربين على القتال، وهذه المواقف. .

كان الوقت قصيرا لاتخاذ قرار، وكان القرار جاهزا فانطلقت رصاصتان في أعقاب الجنود وهم يتقاذزون على الدرج. . فأصيبوا بالارتباك، وأدركت لبنى ما حدث تماما، فوقفت أعلى السلم، ويدها على مدفعها وكانت معركة محسومة. . فقد حوصر الجنود على الدرج بين رصاص الفتيات الخمسة من أسفل، ومدفع لبنى من أعلى، وهم حائرون مضطربون ماذا يفعلون. .

وفي هذه اللحظات الفاصلة، فإن الفور لمن يسبق ولو بثانية واحدة، وقد سبقهم بدقائق. . . وكانت موقعة من مواقع لبنى أشاد بها فيصل الثنيان قائد المقاومة بين فصائلها الكثيرة.



ليس في قدرة المعتدي أن يسيطر تماما على جميع وسائل الإعلام في الوطن المحتل في هذا الزمان، فإذا استطاع أن يسيطر على التلفزيون، بمصادرة أجهزة الاستقبال البعيدة المدى، فإنه لم يستطع أن يصادر أجهزة الراديو التي لا تحصى. . فقد أخذ الكويتيون والعرب المقيمين على أرض الكويت يتابعون أخبار التجمع العالمي المحتشد على الحدود مطالبة حاكم العراق بالانسحاب طواعية قبل أن يخرج مطرودا ذليلا، وهذه الأخبار أزكت الأمل في نفوس الكويتيين، وأشعلت فيهم جذوة حماس طاغية لمقاومة هذه الغاصب الذي أحال حياتهم إلى جحيم، وشوه جمال بلادهم بجموعه الشعبية التي دفع بها إلى هذه الربوع التي نسقتها وأبدعتها أيد ماهرة، وخططت لها عقول واعية، فعائت فيها كقطعان ماشية انطلقت في غفلة داخل حديقة أبدعتها يد بستانى خبير. . بالإضافة إلى ما نهبوه وسرقوه حتى إطارات السيارات، و أثاث المنازل، والثياب. .

كان حقد الكويتيين على الغاصب يزداد كل يوم، وأخذت المقاومة تزداد عنفا وضراوة، وهم يرون المحتل قد بدأ يرتبك من الضربات التي توجهها إليه المقاومة، ومن أنباء الخسود التي كانت تحتشد على الحدود. .

وفوجئ الكويتيون بخبر أذاعه التلفزيون، وبثته الإذاعة بأن قائد المقاومة الشعبية في الكويت، قد لقي مصرعه في مياه شط العرب وهو يحاول الهرب من حراسه في طريقهم إلى بغداد، وجاءوا بصورة لقتيل مشوه المعالم في مياه شط العرب. .

حزن الشعب لهذه الأنباء، وأقام الكثيرون منهم مأتما للبطل الذي مضى والبلاد في حاجة إليه. .

أما فيصل الثيان فلم يحفل بالأمر، فقد كان يتوقعه كما دبره شاكر، وتلقت المقاومة السرية الخبر بسخريّة، وازدادوا إمعانا في التحدي وأرسل فيصل رجاء بعد مغامرة لبنى ومجموعتها في الطريق الدائري الرابع يرجو جميع أفراد المقاومة حرصا



على حياتهم التي تعتبر ذخيرة للوطن، أن يختبئوا أياما بعد مغامرة لبنى الجريمة التي أودت بحياة خمسة من جنود المحتل الذي تعهد بأنه سيقبض على الجناة في هذا الحادث، والمضحك المحزن أنه وصفه بأنه عدوان على الشرعية، وسمى الفدائيين بالجناة والخارجين على القانون..

وطلب فيصل من جميع فصائل المقاومة، أن تفكر في أساليب جديدة تبتعد عن المواجهة، وأن تفكر في وسائل علمية، وأسلحة خفية لقتال العدو واغتياله بأسلوب بعيد عن القنبلة والرصاص..

ولم يتركهم نهبا للتخمين والقلق بل تقدمهم على طريق جديد وبفكر لم يعهده من قبل، ورجاهم أن ينتظروا حتى ينتهي من خطته الجديدة، التي تعتمد على المكر والدهاء أكثر مما تعتمد على المواجهة.

كان المحتل قد وضع يده على مخازن الدولة.. وسخر بعضا منها خصصه لإطعام جيش الاحتلال؛ وقع اختيار فيصل على واحد منها بعد حسابات دقيقة، من يعمل به؟ ومن يشرف عليه من أفراد المحتل؟ ولأن يتبع من الرؤساء؟

كانت الخطة تقوم على تدمير أكبر عدد من أفراد العدو عن طريق المعدة، بأسلوب جديد.. ودرس جديد للمقاومة..

طلب من فالح الشويخ و محمود المنزلاوي أن يسحبا عن سم "السيانيد" وأن يشتريا أكبر كمية منه، استغرق جمعها أسبوعاً.. وفي سرية تامة.. وكلف فدائياً من شباب منطقة الشعب بالتعرف على مدير المخبز الكويتي في المنطقة.. واستجلاء النقاط التالية.. كم عدد الذين يعملون في المخبز، وهل يعملون جميعاً في دوام واحد.. أم أنهم منقسمون إلى مجموعات ومن أسماء المجموعة الأخيرة في يوم الخميس في الأسبوع القادم والذي يليه ما أمكن.. وهل يرأسهم أحد من جنود الاحتلال بصورة



دائمة أو يتغير، ومن رئيسه الذي يتصل به، وأين مكانه، ورقم تليفونه؟ وكرر عليه بضرورة التأكد من هذه البيانات، ولن يكون هذا إلا بالبحث عن شخص شجاع. . فداي، ولاأظن أن هناك كويتي أو عربي مخلص لعرويته إلا ويتمنى أن يكون فداي، ويتعاون مع الكويتيين في طرد هذا المحتل البغيض.

واستمر جمع البيانات أسبوعاً. ضاقت المقاومة بتوقف الكفاح، ولكن فيصل طالبهم بالصبر، وأخبرهم أن ضربة واحدة شاملة، تصيب عدداً كبيراً من أفراد العدو أفضل من قتل فرد أو فردين يتعرض الفدائيون فيها للخطر وليس قتل مجموعة كبيرة. . فكل منها تستدعي الملاحقة، والأفضل لنا أن نضرب ضربة كبيرة شاملة تصعقه على حين غرة وفي غفلة منه بعد أن نتركه يسترخي ويستريح، ويعتقد أن المقاومة قد هدأت أو يثست. .

كان المقربون من فيصل يعرفون هدف خطته، ولكن طريقة تنفيذها كانت تدور حولها تكهنات، وتعودوا أن لا يسألوا عن شيء حتى يطلب منهم، وأيضاً أن لا يصرحوا بما يجول داخل نفوسهم، فالعمل السري يستدعي الخطة في كل شيء حتى التحكم في النفس كما كان يقول حامد الجوهري واستدعي فجأة فيصل الثنيان خلية مكونة من: الياسين وفالح الشويخ، والجوعان وخزعل والغنيم والعثمان ومحمود المنزلاوي، وحامد الجوهري، وعوني النفيسي، ومعاوية الحموي وقال بعد أن شرح عليهم خطته:

- عندما ندخل إلى المخبز لتنفيذ خطتنا. . . هناك احتمالان. . إما أن نغتال مسئول جيش الاحتلال الموجود بالمخبز أولاً ثم نمضي في تنفيذ خطتنا، وإما أن نبعد عن المخبز بحيلة ما. . والحيلة جاهزة، فما رأيكم؟

ولكنهم انقسموا إلى الرأيين، وعرض كل فريق حجته. . . وكان من أنصار عدم



اغتيال مسئول الاحتلال فالح الشويخ و محمود المنزلاوي، وعوني، و معاوية، وانضم
إليهم فيصل حتى يظل مسرح العملية هادئاً، لأن الخطة تنبئ على أن تسير العملية في
المخبز وخارجه بطريقة طبيعية حتى لا يتسرب الشك إلى أحد..

وقبل تنفيذ العملية بساعات، جاء فالح الشويخ لينبئه بأن مسئول الاحتلال قد
تغير.. وأنه يلزم وقت للتعرف على اسمه حتى يتم كل شيء بالأسلوب الذي اتفق
عليه.. فابتسم فيصل وقال:

- إنها فرصة ساقتها إلينا الأقدار بدلاً من أن تكون عقبة في طريقنا..

ورأى علامة تعجب في وجه فالح فقال له:

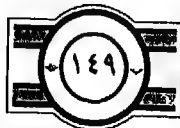
- المثل يقول: لكل قادم دهشة.. وهو تعبير مهذب عن الارتباك، وفي هذه
الحالة يكون استدعاؤه خارج المخبز سهلاً، فهو جديد على العمل وقدرته على تمييز
أصوات رؤسائه في هذا المكان ستأخذ فترة حتى يتأقلم عليها..

- إنني مشدوه من سرعة بديهتك يا فيصل.. وأنا من رأيك منذ أن عرفته ولكن
كان من المهم أن أخبرك.. فقد يكون لديك اعتبارات ليست عندي..

- دع الأمور تجري في طريقها.. كما أنه لابد لكل عمل جانب فيه مخاطره..
وأي عمل في الوجود بعيد حتى عن عالم المقاومة السرية فيه جانب يُترك للمخاطرة.

فالمخاطرة تكمن في طريق الكائن الحي.. أرادها الإنسان أو حاول الابتعاد
عنها.. فلنهنو على أنفسنا يا أخي.. قدوما نستطيع..

ودقت ساعة العمل في الثانية صباحاً.. استدعي مندوب جيش الاحتلال لرئاسته
والتي كانت خالية في هذا الوقت، استدعاه فالح الشويخ للرئاسة لأمر عاجل من
تليفون منزله، وطلب منه أن يبقى في الرئاسة إذا لم يجد بها أحداً.. وألا يحاول شغل



التليفون بأي مكانة مهما كانت قصيرة، وأوهمه بأن الخط متصل ببغداد، وعن طريقه ترسل مكالمات بغداد الهامة والعاجلة من رئاسة الأركان هناك، وبعد أن اطمأن على خلو المخبز من المندوب، أسرع وانضم إلى فيصل وزملائه، وأعطاهم الإشارة بأن الأمر على ما يرام، انطلقوا جميعاً في ثياب جند الاحتلال برتب مختلفة، وطرقوا باب المخبز، وسرعان ما فتحت الأبواب في حملة تفتيشية. . استقبله مديرالمخبز مرحباً، وجمع لهم العاملين لتحتيتهم بينما انطلق فالح الشويخ، ومحمود، وعوني، والغنيمة والعثمان وخزعل والجوعان والياسين إلى مخزن الدقيق، وأخذوا يخلطون "السيانيد" بالدقيق. . الذي كان يكفي لصنع ثلاثة آلاف رغيف، وبعد الانتهاء من هذه العملية عادوا إلى حيث كان فيصل يتحدث إلى جميع العاملين في ضرورة أخذ الحيلة من المقاومة الشعبية حتى لا ينفذوا إلى هذه المرافق الحساسة، فلا يدري أحد إذا تسللوا إليها ماذا سيحدث وأن عليهم جميعاً الالتزام بأوامر مندوب القيادة. .

وخرجوا جميعاً بعد أن انصرف جميع العمال إلى أعمالهم. .

وكانت هناك أسئلة حائرة على لسان المدير الكويتي للمخبز - والذي كان على علم بالأمر - ولكن فيصل عاجله بقوله وهو في طريقه إلى سيارته:

- اسمع يا معود اهرب. . وأخبر هؤلاء العمال قبل مغادرتهم، وبطريقة سرية، دون أن يعرف واحد منهم ما قيل للآخرين. . أخبرهم واحداً واحداً أن يهرب كل واحد بجلده وبسرعة، وألا يعود إلى المخبز أبداً، وأن يعطى كل واحد منهم ألف دينار سلمها فيصل له، وأن يسلم كل واحد منهم إسم تاجر يبحث عنه ويذهب للعمل عنده، وسلمه كشفاً بهم، ويقبل المدير الكويتي فيصل في جبهته قائلاً:

- بارك الله فيك يا معود. . لقد وفيت حق هؤلاء الناس وزيادة، لقد كنت أفكر في مصير هؤلاء الشباب. . كأنك الفدائي فيصل الشيان -ولد الديرة- الذي يتحدث عنه



الناس وكأنه أسطورة، ولولا معرفتي بأن هؤلاء المجرمين قتلوه كما أعلنوا فرحين!!
لقلت إنه أنت.. ولكن الله عوضنا خيرا بك وبأمثالك.

كانت تبشير الصباح قد بدأت تطرد فلول الظلام عندما قال فيصل:

- اسمعوا يا جماعة الخير: علينا أن نسرع لتنفيذ الجزء الثاني من الخطة وهي تعطيل سيارات الإسعاف بأي ثمن.. بتعطيلها في أماكنها، فإذا لم نستطع وانطلقت لإنقاذ هؤلاء المحتلين من برائن هذا السم الذي وضعناه لهم في الخبز.. لا بد من تعطيل هذه السيارات في الطريق بأي ثمن.. فالمخاطرة هنا مطلوبة، والفداء هنا له مقابل ملموس.. وحتى تصيب الخطة هدفها الكامل..

واستطاعت المقاومة فعلا ببسالة نادرة أن تعطل أغلب سيارات الإنقاذ.. حتى استدعت سلطات المحتل كثيرا من سيارات الجيش، بعد أن تأخر الوقت كثيرا، وقضى الكثير نحبهم..

وكان من الأمور المضحكة والتي تدعو إلى السخرية أن يرى المشاهد الجنود والضباط في الطريق وهم يهرولون، وقد وضعوا أيديهم على بطونهم، وفي حال سيئة يتقيثون ما في أمعائهم في الطريق، وبعضهم يطرق الأبواب بحثا عن دورة مياه..

كانوا يلقون بأسلحتهم في أي مكان، وكانت المقاومة تتوقع هذا وتنتظره فأخذوا يجمعونه، وكانت فرصة لانتقام الأهالي، فقتلوا الكثير منهم ودفنوه في الحدائق.. والأماكن الخالية في ظلمة الليل، وسجلت هذه العملية انتصارا ساحقا للمقاومة..



حاولت سلطات الاحتلال التمويه، وتغطية ما حدث بنشر أخبار ملفقة خوفا من تسرب حقيقتها إلى بغداد، ولكن وسائل الاعلام العالمية التي تلقت معلومات عن الخطة وكثرة الضحايا من رسالة سربتها المقاومة إلى الخارج، وعن طريقها اتضح حجم الكارثة، وأرسلت القيادة في بغداد استدعاء عاجلا لقائد الاحتلال فتلقى كثيرا من اللوم بل والتهديد بعقابه إذا تكرر ذلك مرة أخرى، بل إن القيادة عندما علمت بحجم الكارثة بدقة فقد راح ضحيتها ما يزيد على مائتي جندي وضابط، استدعت القائد مرة أخرى، فسحبت منه رتبته، وسرحته من الجيش..

وقالت صحف المحتل: إن هذه الأحداث الخطيرة، وهذه المذبحة تؤكد إن فيصل الثيان لم يلق مصرعه كما ادعت القيادة، وأن هذا الفدائي لازال حيا، وأنه هو صاحب هذه المذبحة.. وأنه لا زال رابضا هناك على أرض الكويت..

وكان الكويتيون يبحثون في وجوه بعضهم البعض عندما يتقابلون في المتاجر والطريق والمساجد عليهم يعرفون في أحدهم ملامح هذا البطل الذي انشقت عنه أرض الكويت، فأخذ يكيل الضربات الموجعة لهذا المحتل الذي تصور أن جرائمه ستمضي دون عقاب أو مساءلة، ولكنه بدأ يلقي جزاءه.. وبدأ الشعب ينظر إلى أفراد المحتل بسخرية واضحة لقد أراحت تلك الضربة الناجحة هذا الكابوس الذي كان جائما على صدورهم، وبددت الرهبة التي كانت تحول بينهم وبين جنود الاحتلال، فشر المواطنون بأنهم أضعف مما حاولوا بها تصوير أنفسهم في تصرفاتهم، وفي أجهزة إعلامهم.. وأخذوا يعاملونهم معاملة النذ للند.. رغم ما يحملونه من سلاح، وما لقنته قيادتهم لهم من صلافة بالأضافة إلى ما شحتهم به أجهزة الاعلام في بلادهم بأنهم جند المنتصر، وأنهم أبطال القادسية التي لا مكان لها إلا في مخيلتهم حتى أن أحد الكويتيين احتك بأحد الجنود وقد وجده يمشي في جلافة فقال له ضاحكا وساخرا:



- كيف حال بطنك اليوم . . هل بقي بها أمعاء!

فرد الجندي بنفس الخلافة:

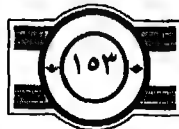
- خايس مثل أهلك وبلدك . .

فثار الكويتي . . وصفعه قاثلا:

- والله ما في أحد خايس سواك وبلدك . . أنتم الظاهر من رجيل الجرذان ماينفع فيكم سوى ها السم . . الذي جعلكم تقبلون الأيدي لتهرعوا إلى دورات المياه . . أنسيت من أسبوعين وأنت تجري لدورة مياه المسجد، ولولاه لفعلتها في الطريق . . يا قذر . . أنتم أكوام قذارة.

فما كان من الجندي إلا أن أخرج مسدسه وأطلق عليه الرصاص، وإن كانت الرصاصة لم تصب منه مقتلًا وتكررت حوادث مشابهة . . وأخذ الجو يتوتر بين المواطنين، وجنود الاحتلال، حتى صدرت لهم الأوامر بأن لا يحتكوا بالمواطنين، بعد أن صار موقفهم صعبا، وبعد أن وجهت الأمم المتحدة إنذارا للمحتل، وهددته بإخراجه عنوة إذا لم يخرج طواعية، فأراد أن يهدئ الجو ليتفرغ للخطر القادم من الحدود، ودفع بأعداد أخرى وفيرة من العاطلين، وضع في أيديهم الأسلحة، وطلب منهم أن يدخلوا إلى الكويت ليكونوا ظهرا لقواتهم المحاربة . . فعاثوا في البلاد سلبا ونهبًا، فماذا تريد من جائع فقير وجد أمامه مائدة ملأى بالطعام، وكنوزا مباحة . . وكان أشد ما ثار له الكويتيون هو محاولة الاعتداء على الحرمات، ظنوا أن كل شيء مباح . . ونسبوا حتى إسلامهم الذي ادعوه، وما كانت تذيبه أجهزة إعلامهم ليل نهار بأنهم جند الإسلام . .

ثارت لبني لما سمعت، وتوجهت إلى فيصل الشثيان، وطلبت منه أن يتركها تقوم بعملية فدائية من تدبيرها فقال لها فيصل ضاحكا:



- أرى يا أخت لبنى أنك تحاولين تعويض ما فاتك في عملية المخبر .

وتقاطعه قائلة :

- لقد كانت ضربة قاتلة، وعملية مدهشة، وكم كنت أتمنى أن يكون لي دور فيها . . ولكنها الظروف القاهرة .

- نسيت أن أسألك . . هل شفيت تماما؟ ومن استخرج الرصاصة من فخذك . .
لقد كانت عمليتك في الطريق الدائري الرابع موفقة بكل المقاييس . . ولكن الرصاصة التي أصابتك أرعجتنا جميعا، ولقد قمت بعملية المخبر انتقاما منهم . . بعد أن أصابوك برصاصة غادرة . .

كان فيصل يحاول تهدئتها حتى لا تندفع إلى عمل جريء يقضي عليها، فقد كانت عضوا له مكانته، وتمثل المرأة في مجال المقاومة السرية، ولا زال على وجهها شحوب المرض، فسأل إلهاء لها:

- ومن الذي استخرج الرصاصة التي أصابت فخذك؟

- أنت تعرف بلا شك . . معقول أن تسألني عن هذا وأنت الذي أرسلته كما قال لي الدكتور مشاري البحر نفسه . . أنت يا فيصل تريد أن تلهيني عن طلبتي، إسمع يا فيصل . . أنا جئت إليك من باب المجاملة فقط، وأنت زعيمنا بلا منازع . . ولكنك لاتستطيع أن تكفني عن أن أقوم بعملية فدائية دفاعا عن الوطن وعن أبناء جنسي الذي يعتدى عليهم بطريقة بربرية وهمجية وكأنهن إماء، وأسرى حرب، أو سبايا، لقد جاوزوا المدى، ولا بد من إيقافهم عند حدهم، وتخويفهم . .

لقد استشهدت كثيرات من الفتيات والنساء دفاعا عن شرفهن، ومع الأسف من رجال يدعون أنهم مسلمون . . لقد أصبحت الأديان في عصرنا الحديث شماعة تعلق



عليها جرائم أتباعها، إنهم يتصورون أننا سبأيا حرب، كما يتصور اليهود أنهم شعب الله المختار، وكل جريمة يرتكبوها في حق الأديان الأخرى فهي حسنات يتقربون بها إلى الله، والمسيحيون يرون أنهم الدين الحق ومن حقهم أن يسودوا، وأن يفعلوا بغيرهم ما شاءوا، والمسلمون يتصورون نفس الشيء، وها نحن مع مسلمين وأشقاء ونلقى مصير هابيل.. لقد جعل الانسان من الأديان مهزلة، ومطية لأغراضه في كل أرض بل وبين أبناء الدين الواحد على الأرض الواحدة.. أليس هذا مضحكا ومبكيا!!



عندما يتم احتلال الوطن، يصبح كل شيء، وأي قيمة مهيأة تلقائياً للاغتصاب.. وبخاصة إذا كان حماة هذا الاغتصاب شباباً أو رجالاً نمت أجسامهم، ولم تنضج عقولهم بما يوازي هذا النمو، وبخاصة في الأمم المتخلفة حضارياً.. وعندما يتحول هؤلاء إلى محتلين، فإنهم طبعياً يتحولون إلى مجموعة من الهمج، وهذا ما حدث، وكانت صدمة الشعب شديدة أن يروا ما أسسوه وأقاموه من منشآت و مؤسسات إقتصادية وعمرانية وثقافية، وما تطبع عليه الشعب من سلوكيات حضارية ينهار أو يداس تحت أقدام همجية دون وازع من رحمة أو ضمير أو أخلاق.. و تعدى هذا الخط الأحمر، عندما رأى الشعب أن أيديهم بدأت تمتد إلى الحرمات.. وكان أول من شعر بهذه الخطورة رجال المقاومة وعلى رأسهم فيصل، ورأى أن من واجبه تدبير خطة تنصدي لهذا الإتجاه الذي لم يرع خلقاً ولا ديناً، وقد فاجأته لبنى بخطتها و حماسها، فأعطاهم الضوء الأخضر.

كانت خطتها تقوم على دعمتين أولاً تأمين الأشخاص بمدتهم بالسلاح، ثم المسارعة بالنجدة عند طلبها وبالسرية الممكنة، وأن تبدأ بحجى "الشامية" حيث تسكنها أسرتها، وعندما تنتهي منه، تنتقل إلى حى كيفان ثم الفيحاء.. وخططت على مدى شهرين لتكون العاصمة، وهي التي يتركز فيها الإحتلال، قد أمنت جانب هذا العدوان الهمجى..

وكانت صعوبة الخطة تتركز في أمرين؛ توافر السلاح، وبخاصة المسدسات وتوفير الحماية والنجدة عند طلبها واستطاع فيصل عن طريق بدو الصحراء عبر دروبهم ومسالكتهم فيها إلى خارج الحدود أن يوفر له ما طلبه من السلاح والذخيرة والمال، فكانوا حلقة الصلة بينهم وبين الحكومة بالخارج فوفروا له ما طلب وأكثر مما طلب لكل مرة..

أما توفير الحماية والنجدة، فقد وعد بها ولكنه قال



- إن الأمر ليس سهلاً كما تتصورين، فإن جيش الاحتلال متواجد في كل منطقة. ومن الصعب وجود حراسة دائمة في كل شارع أو شارعين أو حتى ثلاثة... ستكون بلا شك هناك معاونة من رجال المقاومة، ولكن هذه المعاونة ستكون تبعاً للظروف والإمكانات... حتى لا نعطي المحتل فرصة لنقدم له أنفسنا ونمد له رقابنا...

ثم دفع إليها ماطلبت من سلاح، فقالت في ثقة :

- أعرف هذا يا أخي، ولكنك عودتنا المخاطرة، ووضعت في نفوسنا الفكرة القائلة بأن كل حركة أو حتى عدمها فيه نوع من المخاطرة، وأن الحياة نفسها تولد من بين أنياب الألم والخطر... وجاء قدرنا مع هذه العصاة التي تحكم في بغداد فهل نكفئ أو نموت أحراراً مستريحين الضمير؟ فعليك أن تهين لنا هذه الحماية بقدر الإمكان... حتى ولو جاءت بافتراض الصدفة... المهم أن تعمل شيئاً ننقذ به هؤلاء النسوة المسكينات اللاتي يتعرضن لهذا العدوان الوحشي...

ثم قالت :

- وأنا أعتقد أننا لو استطعنا أن نقطع بعض هذه الأيدي التي تمتد لتمزق شرف نساءنا في منطقة الشامية لقضينا على هذه الظاهرة في المناطق الأخرى ولأعطيناهم درساً لا ينسونه...

ومع توضيحات كثيرة قامت بها بهض الفتيات والأمهات تراجعت هذه الظاهرة بعد أن راح ضحيتها الكثير من رجال الاحتلال، وبعض الشهيديات اللاتي واجهن الموت في شجاعة وبسالة حتى اضطرت قيادة المحتل إلى التنبيه على أفرادها بالابتعاد عن البيوت حتى لا تتحول إلى مقابر لهم...

وكان هذا المنشور السري الذي علمت به المقاومة بوسائلها بمثابة شهادة نجاح لخطّة لبنى... ولكنها أرادت أن تتوج خطتها بعمل فيه شهامة ونبل فقد شاع أن جنود

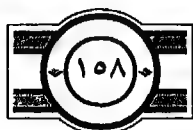


الإحتلال. قد تحولوا إلى بيوت الممرضات الآسيويات التابع للمستشفيات . ووجدوا فيها ضالتهم . . وأصبحت هذه الأماكن بمثابة بيوت دعارة . تخدش حياء المجتمع الكويتي ربيب التقاليد الأخلاقية، فكل سكان هذه البيوت فتيات في دار غربة لا يستطعن الدفاع عن أنفسهن، ولو افترض أنهن في بلادهن يعشن مجتمعا مغايرا لا ينظر الى جرائم العرض نظرة العربي لها . . إلا أنهن في هذا المجتمع العربي لابد لهن أن يسلكن سلوكه ويعشن مثالياته . . كما أن ما يحدث اغتصاب والإغتصاب لا تقره أخلاق شعب أو حتى القبائل الهائمة في الغابة في عصرنا الحاضر . . أو أي عصر سابق . .

رأت لبنى أن معركتها مع جنود الإحتلال بعد تأديبهم وكفهم عن حرمان الكويت، يجب أن تمتد لتشمل بيوت هؤلاء الفتيات . . وبرغم أن فيصل نبهها إلى أن هذه المعركة مع جنود الإحتلال تختلف عما سبقها، فما سبق كانت حالات فردية متباعدة، بالإضافة إلى تفاني المرأة أو الفتاة الكويتية في الدفاع عن شرفها صرفهم عن هذا الإتجاه غير آسفين، بعد أن ظهر أنهم يلعبون بنار تحرق أصابعهم، إلا أن حالة هذه البيوت تختلف تماما، فكثيرات منهن يرحبن بزوارهن، بل ربما يعتبرن هذا تقديرا لأنوثتهن وسحرهن . . وأن الأمر يبدو لديهن طبيعيا ومشروعا. كما أن جيش الإحتلال لديه الشجاعة والجرأة أن يدافع عن نزواته ولو بطريقة خفية . . فكل الجنود والضباط يذهبون هناك وأصبحوا يعتبرونه مكانا لراحتهم ورفاهيتهم، لا يؤذي أحدا . . وأنه لا حق لأحد في الدفاع عنه .

ولكن لبنى أصرت على إغلاق هذا الباب في وجوههم أيضا . . وقالت :

- إنهن في أرضنا، ويدركن أنه اغتصاب، وأن العلاقات الطبيعية لا يمكن أن تتحول إلى هذا المستوى الدنيء . . ثم إن الشعب ينظر الى هذه البيوت ويرى ما يحدث فيها . .



ويقاطعها فيصّل :

- إننا لا نريد أن نضطر إلى معركة ظاهرة مع المحتل.. فتلك ستكون معركة خاسرة لنا.. بل ربما تعطل كفاحنا.. إنني متأكد أن الكفاح سيستمر طالما كان هناك محتل بقينا أو ذهبنا، ولكنه سيتوقف فترة إذا تمكنوا منا.. أنا معك فيما ستقدمين عليه، ولكن بتوخي الحذر التام؛ فنحن مقدمون على عمل خطير.. وقد يتحول إلى مجابهة..

- إنها المخاطرة دائما التي تدفعنا لأن نفعلها.

ومضت لبنى في طريقها، وكانت خطتها تنبني على تجنيد هؤلاء الفتيات للعمل لحساب المقاومة، ولن يكون هذا إلا عن طريق المال والهدايا الثمينة وطلبت من صديقاتها وأقاربها ونساء الحي موافاتها بحليهن وأثمن ما عندهن من جواهر ولآلى، لأن المقاومة في حاجة إليها، وبعد بضعة أيام كان لديها كنز ثمين..

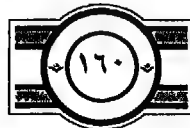
ذهبت في زيارة خفية إلى بيت الممرضات الفلبينيات وطلبت من مديرة البيت أن تزورها بعد أن أشعرتها بمودة نحوها، وحددت لها موعدا في اليوم التالي، وفي هذا اللقاء تطرق الحديث بطبيعته إلى ما يحدث داخل البيت من أحداث مخجلة، فقالت "سوزي" دفاعا عما يحدث :

- ماذا تفعل الفتيات، والحب يفرض عليهن، إما الحب أو الإيذاء أو الموت أحيانا.. فتيات صغيرات أو نساء عاجزات عن الدفاع عن أنفسهن أمام وحوش آدمية وبأيديهم الموت بما يحملون من سلاح.. فماذا يفعلن غير الإستسلام، كارهات أو راضيات.. ليس مهما.. ولكن كل ما يريدونه اشباع رغبتهم، ولو تحول الأمر إلى عملية بهيمية تماما :

- وأنت.. ألم يتعرض لك أحد.. ويطلب منك قضاء الحاجة معه..



- نادرا.. فما حاجتهم لي، وهناك فتيات صغيرات أجمل، وأنضر شبابا..
- وأصبح البيت ملتقى لطالبي الرغبة من الضباط بعد أن أراحوا الجنود من طريقهم.. فالغلبة دائما للقوي..
- وكانت هذه الشعرة التي تبحث عنها لبنى لتدخل منها بسهولة إلى موضوعها، فالمرأة شبه كارهة فيما يبدو لما يحدث في البيت، فقالت لبنى :
- لا جدال في أنك تكرهين ما يحدث في البيت من مهازل..
- تماما.. وبعد أن انفلت النظام.. فكيف تتصرفين مع فتاة تدعي أنها عشيقة قائد المدفعية وتلك خلية مدير الإستخبارات.. وحامل في ابنه.
- وما رأيك فيمن يساعدك في إعادة نظام البيت كما كان قبل الإحتلال..
- وتضحك سوري وتقول ساخرة :
- لابد إذن أن يكون هذا الشخص نابليون أو هتلر أو بوش رئيس الولايات المتحدة ولديه جيش وافر العدد والعدة.. أم أنك تتحدثين عن الجيوش التي تقف على الحدود، حتى هذه الجيوش فإن ديكتاتور العراق يتحداها، ويعلن أنها لو دخلت في حرب معه، فإن مصيرها أن تدفن في الصحراء..
- إن أغلب الكلاب التي تعوي لا تعض، إنهم أول من يعرف أنهم لو دخلوا القتال فسيدخلون معركة خاسرة، فالأمر لا يعدو الدعاية، وهم أول من يعرف كذبهم.. إن أيامهم في الكويت باتت معدودة
- كانت لبنى تقصد من هذا أن تدفعها للمعاونة مادامت أيام الإحتلال باتت معدودة.. بالإضافة إلى أن ما يحدث في البيت يضايقها، ويشل من حركتها بل وصرحت للبنى بأن بعضهن تجرأن على إدارتها، وهددنها بانتزاع الإدارة من يدها بما لهن



من صلات برجال الإحتلال، وأنها تمثل الإدارة الكويتية التي لم يعد لها وجود.. وأن الإدارة الجديدة للمستشفيات ستتخذ قرارات أخرى..

كان الطريق ممهدا أمامها فقالت لبنى :

- ما رأيك فى التعاون بيننا من الآن، وحتى يتم تحرير الكويت..

- تحرير الكويت!! هل ما تقولينه حقيقة؟! إنها تسعدني، لقد كنا نعيش آمنين، سعداء، نأخذ حقنا، معاشنا مضمون.. أما الآن فحالنا يمضي من سيء إلى أسوأ، ولا ندرى كيف نقبض معاشاتنا، وقد أصبحت غير منتظمة، وناقصة، وقيل إن الحكومة - التي اخترعتها - ستنظر في هذه المعاشات، وأنها سيتم تخفيضها.. الله يرحم أيام زمان.. ليت أيام الكويت تعود..

- ستعود وسيطرد المحتلون شر طردة، بل سيخرجون من بلادنا على وجوههم وسيدفن الكثير منهم تحت هذه الرمال قريبا.. فالحق والقوى المؤثرة في العالم العربي معنا، والرأي العام العالمي متعاطف معنا، وجيوش القوى العظمى تقف على الحدود، وربما يكون تحرير الكويت قريبا أكثر مما نظن ولاندرى.. وأنا أدعوك يا سوري أن تقفي معنا، وفاء للكويت الذي تحبينه، وتريدين عودة حكومته ورجاله.. التي ستعود في القريب بإذن الله

- روجي فداء للكويت يا أخت لبنى.. ولكن كيف؟!!

وشرحت لها لبنى طريقة العمل، وارتاعت سوري عندما أدركت أنها ستعمل مع المقاومة السرية، وأن الهدف هو اغتيال أفراد المحتل باصطيادهم في المنزل الذي أصبح بؤرة سرطانية داخل جسم المجتمع الكويتي، وحتى تشجعها على التعاون والسرية، عرضت عليها عقدا ثميناً من الماس عندما رآته قالت:



يا إلهي به عقد شته عقد الملكة إليزابيث ملكة إنجلترا إنه لا يعد سس

فقال لبنى مازحة

- ولكنه سيكون عقد الأميرة سوزي إذا تعاونت معنا.

فأجابت سوزي مأخوذة:

- لي أنا. لي أنا، أنا على استعداد أن أتعاون دون مقابل. . ولكن كيف؟

ووضعت لبنى العقد في علبة أمامها وقالت لها:

- كيف حال الفتيات بالمنزل؟ أنت على وفاق معهن؟ أم أن هناك مشكلات

بينكن؟

- بعد الذي حدث، واستباحة جنود الاحتلال للمنزل، كان هناك بعض

الخلاف، وظهرت بعض الفتيات بمظهر سيئ، فأصبحن لا يأتين بأمرى، ويخرجن

عندما يردن، ويأتين أي وقت في الصباح أو المساء وضربوا بلوائح المنزل عرض

الحائط. .

- كم واحدة منهن؟

- ثلثهن تقريبا

- ألا يمكن وضعهن في مكان خاص. ووضع الأخريات المستجيبات لك في

مكان آخر

صممت سوزي قليلا وكأنها تفكر، كانت لا زالت مأخوذة مما عرضته لبنى عليها

وبدت مرتبكة ويدها تهتز ولا تستطيع الإمساك بكوب العصير الذي قدمته لها لبنى

فقال لها.



- فكري بهدوء يا أخت سوري، وثقي أنك ستكونين واحدة منا وإذا أحسست بالخطر، فلن ندعك وحدك، فسنبعدك عنه حتى لو اضطررنا لإخراجك من الكويت وإرجاعك إلى بلادك دون أن تمس شعرة واحدة من رأسك وستعودين معزة مكرمة بعد التحرير وثقي أننا ندرك أن سلامتك من سلامتنا، وأنا نخطط لهذه العمليات بدقة، وكل ما تسمعين عنه من مقاومة وتنكيل وقتل لأفراد المحتل.. كله من تدبيرنا.

- إذن أنتم من أتباع فيصل الثيان.. هذا الأسطورة!!

- نعم.. نعم.. "جرجور" الكويت كما يطلق عليه الشعب.

ذهب الخوف عن سوري.. وبدت تثق في لبني، وشرحت لها لبني طريقة العمل.. أن تخلي الدور الأرضي من الفتيات.. إلا من واحدة تثق فيها أو اثنتين، ويتصرفان عاديا، ويستقبلان أفراد المحتل، ويقدمان لهم الشراب الذي يحضرانه كما هي عادتهم، بالإضافة إلى كيس صغير من البودرة..

- والفتيات!!

وقبل أن تتم كلامها قالت لبني ضاحكة:

- لهن نصيب عن كل عملية.. عقد أو قرط تبعا لأهمية الزائر، أو حتى تكفي.. إن لدينا كنز سنهبه لمن يعاوننا على هؤلاء المجرمين.

- والجثث..

- لا تحملي هما لهذا فقد دبرنا أمرنا جيدا، وخلفاء فيصل الأسطورة لن يكونوا أقل ذكاء منه.. لقد علمهم ودرّبهم.

وكان فيصل بنفسه هو الذي يشرف على نقل الجثث، وقد ارتدى ثياب ضابط من ضباط المحتل، وسيارة من سياراته كانت مخبأة لمثل هذه الحالات.. كما أنه كان يعتبر



لبنى رمزا لبطولة المرأة الكويتية فقد حولت حزنها وفجيعتها إلى طاقة مدمرة . . بعد أن اغتال الطغاة طفلها وهو جنين في أحشائها ولكنه كان يخاف جرأتها التي كانت تتعدى الحدود . . ورغم انشغاله بعمليات شملت اغتيال نصف أفراد الحكومة التي ادعى المحتل أنهم من الكويت، وعملية نسف لمعدات العدو . . إلا أنه استخلص مساحة من وقته المشحون ليعاون يوميا في إنجاح خطة لبنى . . الذي كان يطلق عليها "الأفعى الجميلة" .

وسارت خطة لبنى على النحو المرسوم لها، وكانت حصيلتها لأسبوعها الأول ضابطان ومجنّد أودعهما فيصّل بيده قلب الصحراء بين الطريقين الدائري الرابع والخامس وكانت "الحظرة" التي أقامتها لبنى ليوم واحد في الأسبوع، تختاره هي ومديرة البيت عندما تجد الوقت ملائما والصيد حاضرا، والجو هادئا، وكانت تتم العملية في الدور الأرضي لسهولة الحركة، وقد أضحك فيصّل وأسعده اختيار كلمة "الحظرة" فقال :

- كان جدي -رحمه الله- "ثيان الماجد" ينصب لنا المصيدة أو الحظرة في مياه الخليج، وكنا ننام بجوارها على الشاطئ نحلم فرحين بما ستخرجه إلينا من ثماره . . . مجموعة شهية لذينة من أسماكه تبدأ من الميد وتنتهي بالسبيطي، مروراً بالنعرجور والهامور والبياح والسلطان إبراهيم، فجاء هذا المحتل البغيض، فأحال حياة هذه الكائنات إلى جحيم بما أسال فيه من نطف وزيت محترق حتى طيور البرّكم تسلم من شروره لطفخها عاره الذي ملأ به البر كما ملأ به البحر . . وحول ثروة أمته التي يدعيها زورا إلى نقمة .

ثم يواصل :

- فجئت أنت فنقلت الحظرة إلى الداخل بعيدا عن البحر الذي أهلكه، لاصطياد جنده المغرورين بطله الأجوف . مرحى أيتها "الأفعى الجميلة" لقد انتقمت لتاريخك وبلادك الخيرة المعطاء . . واصطدت منهم الكثير . .



وطلب منها أن تكتفي بهذا ولكنها أصرت على بقاء "الحظرة" قائلة :

- إن شهرا واحدا لا يطفئ ظمئي بعد أن تجاوز حكام بغداد كل الحدود وانتهكوا كل الحرمات . . حتى ولو ذهبت ضحية هذه "الحظرة" مادامت تدر عائدا أسبوعيا لا يقل عن ثلاثة من هؤلاء المغرورين الذين ينتهكون تراب الكويت الطاهر . .



ضجعت رئاسة الإستخبارات العامة في بغداد لفقد هذا العدد الكبير من القوات وبعثت رسالة شديدة اللهجة لفرعها العامل مع قوات الاحتلال في الكويت بالبحث عن الأفراد المفقودين، ومعرفة مصيرهم.. وهل اغتالتهم المقاومة السرية كما اغتالت بعض أفراد الحكومة التي عينها الزعيم، وأعطتهم فرصة عشرة أيام وإلا فستقوم بمحاكمتهم وتسريحهم من الخدمة، وحرمانهم من معاشاتهم الخيالية التي تميزهم عن بقية الجيش، وهددتهم بإبلاغ الأمر إلى الزعيم الذي لو علم بالأمر فلن يقبل سوى رميهم بالرصاص في ساحة عامة..

ووصلت الأخبار إلى نائب الزعيم من عيونه الخاصة، واستدعى رئيس الاستخبارات وخضع كما هو الحال دائماً إلى تفتيش، وكانت طريقة التفتيش صارمة، فقد جردوه من ملابسه، وأعطوها له قطعة قطعة، حتى الملابس الداخلية زيادة في الحرص على حياة نائب الزعيم.. وأدخلوه بعدها عليه آخر الأمر والذي ظل ينظر في أوراق أمامه لمدة ساعة، وهو لا يعيره التفاتاً، وكأنه غير موجود على الإطلاق.

وكان نائب الزعيم يتباهى بأن من يقابله لا بد أن يفعلها على نفسه قبل أن يتحدث معه، وظل يعبث بمسدسين يزنهما في يده، ويطمئن على ذخيرتهما بإخراجها منها، وإعادتها إليهما مرة ثانية، ولسان الحال يؤكد بأنه سيلقى حتفه بواحد منهما.. وأخيراً حدد نظره إليه في وحشية وقال:

- من أنت أيها الحيوان؟

- أنا.. أنا.. سيدي..

- قلت من أنت أيها الجرذ.. تكلم.. هل قطعوا لسانك في الكويت أيضاً أيها الكلب القذر.. قلت أن هذا المدعو فيصل الذي أذاقكم الخزي، وأضحك عليكم الصبية، قد انتهى أمره، وأكلته أسماك شط العرب، فما عذركم الآن.. إن عاماً واحداً



يكفي لأن نصبح بلا جيش بعد هذه الأنباء التي وصلتني عن مقتل هذه الأعداد من حرس الزعيم، ورجاله المخلصين وأنتم هنا تتربعون على قدور النبيذ، وصدور النساء..

- سيدي نحن جادون في البحث عنهم.. فربما هربوا إلى الصحراء.. أنتم تعرفون سيدي بأن كثيراً منهم لا يؤمنون بهذه الحرب، ويقولون لماذا نحارب أشقاءنا وإخواننا!!

- أنت تناقشني في سياسة الزعيم؟ لم يجرؤ عليها أحد من قبلك أيها الخنزير اللثيم.. لقد حكمت على نفسك..

- لا أقصد سيدي.. وحاشاك أن يعترض أحد على سياستكما، فأنت نائب الزعيم الملهم.. وكل ما أرجو -سيدي- أن تدعني أقبل يديك وأقدامك وأن أستغفرك، فيما تظنه قد ظهر مني لك.. وأن تعطيني -سيدي- فرصة أسبوع، أسبوع واحد، وأنا آتيك بكل ما تطلبه عن مصير هؤلاء..

- تريد أن تأخذ فرصاً أخرى.. لقد أعطيناك فرصة كبرى تستريح فيها من العمل والحياة أيضاً..

وأطلق عليه الرصاص.. فخر يتخبط في دمه

أخذ نائب الزعيم يقهقه.. ثم دق الجرس، فدخل الحارس ومعه رئيس الاستخبارات الجديد.. وعندما وقف أمامه قال له:

- انظر على رأس من تقف.. على رأس رئيسك السابق، وسيكون هناك من يقف على رأسك من الغد إذا أنت أهملت أو تقاعست عن أداء واجبك.. الأخبار تأتيني فوراً، واحمل معك جثة هذا الكلب وتصرف فيها..

وانصرف رئيس الاستخبارات الجديد بجثة رئيسه السابق، ولكن قبل أن يواريه الباب ناداه ثانية وقال له وهو يعطيه ظهره:



- اسمع أيها الخنزير . ألسنت تلميذه!!

ويتابع نائب الزعيم:

- لقد فتحنا لكم هذه البلاد، وضممنها إلى دولتنا، وأطلقنا أيديكم على مافيها من كنوز.. ونهبتهم ماشئتم، ولم يحاسبكم أحد.. ولكن أن تصبحوا لعبة في أيدي خليفة هذا الفيصل الذي سخر من جيشنا!!.. والآن مضى فيصل هذا.. فأين ذهب هؤلاء.. أريد أخبارهم بأقصى سرعة.. فإذا كنا لانستطيع أن نتعامل مع مجموعة من الصبية في الكويت.. فكيف سنقف في وجه تلك الجيوش التي تقف لنا علي الحدود.. وقد وعد الزعيم بأن يدفئهم حيث هم، وسأدفنك معهم إذا لم تأتني بأخبار الجند المفقودين..

- حاضر سيدي.. حاضر سيدي.. سأنفذ طلبك على الفور..

وسافر الرئيس الجديد إلى الكويت رأساً، وأخذ معه مئات من موظفي الإدارة وأمر أن يظل الأمر سرّاً، وفوجئ مدير الاستخبارات هناك بحضور هذا العدد الضخم من الرجال، وخضع لاستجوابات الرئيس الجديد، ونال من الإهانات حقّه، بعد أن شرح الظروف التي اختفى فيها العدد الكبير من الضباط والجنود، واغتيال بعض أعضاء الحكومة..

طلب من قائد جيش الاحتلال أن يعطيه مائة ضابط من خيرة ضباطه، ومائتي جندي، جردهم من ثيابهم العسكرية، وألبسهم ملابس مدنية، ووزعهم بجانب قوات الاستخبارات على جميع شوارع مدينة الكويت وأحيائها، وأمرهم بمراقبة جميع الأماكن التي يذهب إليها الضباط والجنود وإحصائهم عند دخولهم، وعند خروجهم، وتبليغه بهذه الإحصاءات يومياً إذا حدث نقص في هذه الأعداد، وأعطاهم تصريحاً بدخول أي مكان وتفتيشه دون اعتراض من أي رتبة، وأبلغ قادة الجيش بأن هذه أوامر نائب



الزعيم . ولانقاش فيها لصالح الأمن العام، وجيش الزعيم وحرسه . واستمرت المراقبة لأكثر من أسبوع . . حتى جاءت الأخبار بأن هناك منزل يذهب إليه الضباط، ويمكثون فيه الليل بطوله، وأحياناً لا يخرجون . . وتصدر منه موسيقى صاخبة، وتسمع منه ضحكات نسائية . . وأن هذا المنزل خاص بالنساء الأجنبيات ممن يعملن ممرضات في المستشفيات . .

شدت الاستخبارات الرقابة على المنزل من أماكن بعيدة، وشم فيصل رائحة غير طبيعية في الجو . . فطلب من لبنى أن تتوقف ريثما تتضح الأمور لأن عيونه ترى حركة غير عادية، ولم يستطع إقناعها إلا بعد جهد . .

ومر أسبوعان . . وعلى غير توقع اتصلت مديرة المنزل بلبنى وقالت:

- لماذا تغييت طوال هذه المدة . . إن الفتيات يسألن عنك . .

وطلبت من لبنى أن تزورها في أقرب فرصة، وأن كل شئ هادئ ولا مانع من استئناف العمل معها.

عرضت الأمر على فيصل فسألها:

- لقد كانت غير راغبة في استمرار العملية قبل أن تتوقفي . . فما الذي يدعوها الآن إلى أن تلح عليك في استئناف العمل . . أرجوك يالبنى . . لاتذهبي إليها . . فأنا أخشى عليك . .

ويتابع حديثه:

- إننا يجب أن نكون في متهى الحرس . . فأعصاب المحتل بدأت تفلت من تشديد الحصار عليهم من الخارج . . والمهلة التي أعطتها الأمم المتحدة لهم بدأت تتسرب وقد تكون قوات التحرير في طريقها إلى هنا في خلال أيام أو ساعات . .



ويواصل فيصل

- إن قوات العدو المحتل الآن في ورطة، وتتمنى أن تمسك بشيء أو تصل إلى أمر يحدث فرقة إعلامية. لإلهاء جنودهم الذين بدأ الخوف يتسلل إلى قلوبهم. فقد مضت هذه المدة الطويلة على بدء غزوهم، ولم يستقر لهم الأمر بعد داخل الكويت؛ فالشعب يناضل ولم يتوقف لحظة، ولم يعطهم فرصة للاسترخاء أو حتى التأثب، والعالم يمور من الخارج صارخاً بضرورة إخراج المحتل.. فلا تعطيه فرصة يرفع بها معنويات جنوده المنهارة..

- فيصل.. ياجرجور الكويت والخليج.. لم أعهد فيك التراجع والنكوص، أنا أعرف أنه ربما تكون هناك مكيدة، ولكنني أيضاً لو عثرت على فرصة ولو كان نجاحها لا يحظى بأكثر من واحد في المائة لما ترددت، ولو كان ثمنها رقبتي..

- أرجوك يا بنى.. بل أنا أمرك بأن لا تذهبي.. لا تجري أرجلنا إلى شرك.. قد يكون منصوباً لنا خلف هذه المكالمة..

وتظاهرت لبنى بالاستجابة، والرضوخ لرغبة فيصل.. ولكنها كانت تخفي أمراً.. فقد ذهبت. وإن كانت قد غيرت موعد زيارتها من بعد منتصف الليل إلى الظهيرة..

وعندما التقت بالمرأة هالها مارأته على جهها من شحوب وكدمات ومابدا في عينيها من بؤس وحزن فقالت لبنى.

- ماذا حدث ياسوري!

ولكن "سوزي" لم تجب، فقد كانت منهارة تماماً، ودخل رجلان فقال أحدهما بغلظة:

- ستعرفين ماحدث



وهرع حامد الجوهري إلى فيصل، وأخبره بأن لبنى خرجت ظهراً ولم تعد حتى الآن. . ولم يمض سوى وقت قصير في نفس اليوم حتى أذاع التلفزيون في نشرته الإخبارية بأن إدارة الاستخبارات تعلن بأنه قد تم القبض على امرأة تعتبر من أخطر العناصر الإرهابية، وبمعاونتها وتديرها تم اغتيال العديد من رجال الحرس الجمهوري الذين تعتز بهم الأمة. . لقد كانت هذه المرأة المجرمة بمثابة مخلب قط لعصابة كبيرة يرأسها بعض المجرمين الخارجين على القانون. . الذين ظنوا أنهم بعيدون عن عين الاستخبارات الساهرة على جيش القادسية، وحرس القائد الأعلى، والزعيم المنتصر. .

ورغم أن لبنى لم تعترف مطلقاً بأن وراءها المقاومة السرية الشعبية إلا أن الاستخبارات أخفت أن هذه المرأة قد قامت وحدها باغتيال العشرات من جندهم. . كما ذكرت لهم لبنى في شجاعة أربكتهم. . فكيف يقولون الحقيقة؟! إنهم لو ذكروها لطارت رقابهم. . فكيف يسمح القادة والزعيم المظفر، أن تفعل امرأة بجنده ما فعلت. . وزاد من مشكلتهم أنهم لا بد أن يعلنوا أن هناك تنظيم سري خلفها. . ولكن أين هذا التنظيم؟

وكان الحل جاهزاً، إذ قال لهم رئيس المخابرات الجديد:

- الأمر أسهل مما تصورون. . فأنتم لم تتقنوا مهنة المخابرات بعد وسأعطيكم درساً لا تنسوه. .

وأضاف والكل ينظر إليه مبهوراً:

- اخرجوا إلى الطريق أو ادخلوا إلى أي مكان، واقبضوا على أي مجموعة من الرجال، وضعوا في أيديهم القيود. . إنهم رجال المقاومة. فلن نحتاج إلى شهود، فنحن الذين نلقي الاتهام، ونحن القضاة ونحن السجانون. . قبل أن يسخر منا الجميع



ويقولون: هل من المعقول أن تفعل امرأة بهم كل هذا. . وإن كانت هذه الحقيقة على ما يبدو. . ورغم هذا فالحقيقة دائما مكروهة.

ويضيف في ابتسامة قاسية:

- إذن علينا أن نؤلف لهم حقيقة يحبونها. . هل فهتمت الدرس أيها الأذكاء!

وفي النشرة التالية، أعلن القبض على العصابة في الخبر الرئيسي الأول، والتهاني التي وصلت رئيس الاستخبارات من القيادة، ونائب الزعيم. . وفي خبر صغير في آخر النشرة قال المذيع حاولت بعض طائرات الأعداء -الذين يقفون على الحدود من حثالة الأمم - حاولت طائراتهم الهجوم على بغداد، فتصدى لها دفاعنا الجوي، ومدفعيتنا، فأبادتها ولم ترجع لهم طائرة واحدة. .

قضى فيصل ليلتين شاردا، وأخيرا استدعى فالح الشويخ وقال له:

- فالح. . إنني ذاهب في مهمة عاجلة -وقد لا أعود منها- ولديك الآن من الخبرة وبما تمتلك من شجاعة يؤهلانك لأن تتولى قيادة المقاومة. .

ويرد فالح مصعوقا:

- قيادة المقاومة. . وأين ستذهب يا فيصل؛ لا تواصل معي هذا العبث، إنك تمزح بلا شك.

- لست مارحا يا فالح ومعك الحرس القديم ومعك مجموعة من الأبطال الذين تحملوا عبء الكفاح كأسد وأوس والسعيد والزعابي والصالح والغنيم والعثمان والبابطين والعبدة الله كل واحد منهم بألف. . ومعك فتيات جسورات تفوق شجاعتهم الرجال تلميذات لبنى. . فاطمة الخزعول، وأميرة الجاسم، وهدي السلطان، ونوره الوزان وغيرهن.

ويواصل الشويخ مرتاعا:

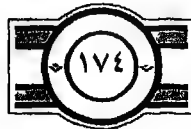


- وأنت ماذا ستفعل؟! وأين ستذهب؟
- سأذهب خارج الحدود في مهمة عاجلة..
- وتتركنا، والبشائر أخذت تلوح في الأفق؟! فقد نشرت إذاعات العالم تقدم القوات المحاربة صوب الكويت، وعلينا أن نضاعف في هذا الوقت هجماتنا لنزيد في ارتباكهم، ونعجل بانتصار القوات التي جاءت لمعاونتنا؛ أمن المعقول أن تتركنا في هذا الوقت؟!
- فيك البركة يا فالح..
- ولكن أخبرني.. أين ستذهب، أرجوك.. لا تقتلنا..
- ويقاطعه فيصل:
- تماسك يا أخي ماذا سيحدث لو أصابتنى رصاصة.. أليس الرصاص صناعتنا الآن.. وكما نقتل من الممكن أن يحل علينا نفس المصير.. فهل سيتوقف التحرير، وتموت المقاومة؟! إن حياة الشعوب لا تنتهي بموت فرد منها مهما بلغ قدره، ففيها من يستطيع حمل أمانة كفاحها.. وشعب الكويت غني برجاله أكثر مما هو بشروته، فأرجوكم أن تترجموا هذا بكفاحكم الذي لن يلين حتى يتحقق النصر.. وهو قريب بإذن الله..
- ولكن أين ستذهب هل ستسافر خارج الحدود؟! إنهم يرسلون إلينا من الخارج كل ما نطلب من ذخيرة وسلاح وأموال.. فلماذا تتركنا الآن وتذهب؟!
- ربما في مهمة عاجلة، وستعرف هذا في القريب..
- ثم أضاف:
- وإذا سألك الإخوة فأخبرهم بأنني ذاهب في مهمة عاجلة خارج الحدود..



أوقف فيصّل سيارته أمام مبنى الاستخبارات في الكويت، وتوجه إلى الحراس
الذين وقفوا في طريقه قائلاً:

- أريد مقابلة مدير الاستخبارات ..
- من أنت؟
- رجل من عباد الله .. كويتي ولد كويتي
- وماذا تريد يا كويتي يا ولد كويتي!!
- أألم تسمع؟ أريد مقابلة المدير هنا .. مدير الاستخبارات
- وماذا تفعل عنده ..
- عندي أخبار هامة له ستسره!
- ذهب الجندي، وجاء وأشار له بالدخول .. وهو يردد ساخراً:
- تفضل يا كويتي يا ولد كويتي ..
- سأله رئيس المخابرات في صلافة:
- ماذا تريد؟!
- لست المدير يا سيدي، فأنا أعرفه .. إنني أريد المدير شخصياً ..
- ومن أين لك أن تعرفه .. . أصدقاء!!
- قلت لك إنني أعرفه، وهو يعرفني جيداً، ولدي أخبار له
- تكلم الضابط في جهاز بضع كلمات .. فدخل ضابط من ضباط الاحتلال في ذلة
- قائلاً:
- تكرم سيدي ..



- هذا الرجل يدعي أنه يعرفك ، ولا يعترف بي ، ولديه أخبار يريد أن يقولها لك إسمع ما يريد أن يقول فرمما . .

- عفوا سيدي . .

ثم يتجه نحو فيصل ويقول بخشونة:

- ماذا تريد يا أعمى القلب والبصيرة . . هذا رئيس الاستخبارات العامة في العراق . .

ويقول فيصل ساخرا:

- وأنت؟

- أنا مدير الاستخبارات هنا . . ولكن من أنت . . أجئت تستجوبنا . . أننا الذين نستجوب الناس بل والملائكة والشياطين . . فمن أنت؟!

- أنا فيصل الشبان!!

وتحفظ عيونهما ، وكأنما ظهر لهما عفريت فيقول له ساخراً:

- كم فيصل هنا . . كلما مات فيصل ظهر فيصل آخر!!

- كلنا فيصل

- وماذا تريد أيها المجنون المدعي ، ألا تعرف ثمن ادعائك هذا؟!

- أريد أن أقول لكم أنني فيصل ، ولم ألق مصرعي في شط العرب كما تدعون ، وأنني الذي قمت بالإشراف على جميع العمليات الأخيرة وليست لبني . فهي بريئة .

- أنت الذي قمت بكل هذا ؟ وتدعي أيضاً أنك فيصل ؟ لاشك أنك مجنون . .



- أنا لست مجنوناً، ولديّ الدليل، وهو ليس البطاقة المديّة، ولكنه لبي نفسها. . إنها بريئة، وقد أرادت أن تحميني، وهي بريئة ولادخل لها في كل ماحدث. .
أحضروا لبنى، وسألوها عن فيصل الثنيان، فأظهرت عدم معرفتها به وأصرت على أنه ليس فيصل وأنه مات وانتهى أمره في شط العرب. . كانت آثار التعذيب بادية عليها. . فرجاها فيصل أن تخبرهم بحقيقته، ولكنها ظلت على إنكارها. .

فيقول مدير المخابرات بعد أن يثس منهما:

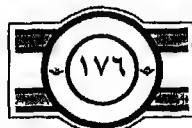
- أرى سيدي أن نقتلها معاً وننتهي منهما، فقد اعترفا بجرائمهما. .

ولكن الرئيس يهز رأسه ويقول:

- ليس قبل أن نتأكد من هذا المدعي. . ربما يكون فيصل الثنيان فعلاً، ألا يمكن أن يكون هو. . فلو كان هو لأصبح الأمر مختلفاً. .

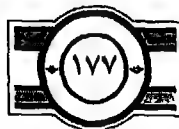
وأخذ رئيس الاستخبارات العامة يمّني نفسه أن يكون هو فعلاً فيصل الثنيان وأن يبدأ عهده بهذا الاكتشاف. . وأن يضع يده على "جرجور" الكويت كما يقولون هنا. . إن حياة فيصل الثنيان تساوي وزارة في التشكيل الوزاري الجديد، أو محافظاً للكويت على الأقل؛ إن أبواب المجد والثراء معلقة بهذا المدعو فيصل الثنيان. . فأمر بالتحفظ على فيصل، ولبنى في مكان أمين بالإدارة، ولا يمكن لأحد اتخاذ قرار بشأنهما إلا بموافقة شخصياً، ربما تقر في النهاية بأنه فيصل إذا لم يعثر على ملفه في الرئاسة العامة في بغداد. . فليس من المستبعد أن يكون إنكارها حمايته ودليل قاطع على أنه هو. .

نسي الرئيس العام للاستخبارات كل الأنباء والأخبار التي تذيب تقدم القوات صوب عاصمة الكويت، فكلها ادعاءات وأوهام، فالزعيم قادر بقواته التي لا تقهر على دفنها في الصحراء. . فلم يبق في ذهنه سوى أحلام المجد والثراء الذي سيناله بتسليم فيصل الثنيان لنائب الزعيم بل للزعيم رأساً. .



ويدخل جندي مهرولاً قائلاً:

- سيدي مكالمة لك على الهاتف من بغداد من الرئاسة العامة للاستخبارات..



دخل حامد الجوهري متجهماً على فالح الشويخ قائلاً:

- أنا ذاهب الحين للبحث عن لبنى في أي مكان لدى هؤلاء المجرمين . . أنا لا أطيق الحياة بدونها . . إنها حياة كالحة لا طعم لها ولا شكل . . أن تجد إنساناً يأخذ منك زوجتك ظلماً لأنها تدافع عن بلادها، وعن بنات جنسها . . كيف تكون هذه حياة؟ وأي وحوش هؤلاء؟!

- إن الحياة أيها الشاعر لها منطق يختلف عن منطق الشعراء والعقلاء فالشعراء يعيشونها عالماً سحرياً لا تنفع عيونهم إلا على الجمال، يترجمونه للآخرين وعندما يصطدمون بواقعها المرير يتألمون ويكفون، ويترجمون هذه الأحاسيس مرارة وأسى، ولكنهم لا يستطيعون أن يغيروا من واقعها المادي القاسي شيئاً، والعقلاء لا يملكون غير المنطق، وهو عاجز عن التغيير دائماً لأنه لا يملك أدواته كالشعراء . . فلم يبق إلا أولئك الذين يملكون السلاح، وهم غالباً مغترون بقوتهم، والمغتر بقوته يتحول إلى كائن بين الحيوان المفترس والإنسان، واستمرار هذا الغرور يفقده إحساسه بأي قيمة، ولا يبالي بمشاعر الآخرين أو عواطفهم أو مآسيتهم، ويتصرف كأنه مالك الكون وحده لا شريك له ولا عواطف ولا أحاسيس لغيره . . فهمت!

- أنا لا أقبل أن أعيش حياة كهذه . . وليمت الإنسان أفضل من أن يعيش هذه الحياة اللعينة التي لم تخط خطوة أبعد من حياة الغاب ومنطقها

- هذه هي الحياة إذا أردت أن تعيش فيها . . ألم تر ما حدث للكويت بأسرها؛ ماذا جنينا! وماذا فعلنا حتى يحدث لنا كل هذا؟ أهو موضوع زوجتك وحده . . إنه موضوع الكويت . . بل موضوع ثلاثة أرباع العالم من الأمم التي لا تملك سوى حسن النية . . إننا يا هذا نعيش عالم البشر . . فيه هيئة الأمم المتحدة . . ومؤسسات حقوق الإنسان . . منظمات لإعاشة بعض الموظفين لا أكثر ولا أقل . . هذه حياة الإنسان الذي لا زالت الوحشية تسكن في أعماقه . . فلا تذهب بعيداً في خيالك



- وهل نظل نقف في مكاننا هكذا.. فيصل تركنا ولا ندرى أين ذهب.. ولبنى
سجين عندهم.. إنني لا أطيق هذه الحياة.. إما أن أرتكب عملا جنونيا وإما أن
أنتحر..

- انتظر قليلا يا جوهري.. ألم تقرأ ما روي عن عنترة إذ قالوا له كيف تهزم
عدوك قال: إنني أتفوق عليه بلحظة صبر واحدة بعد نفاذ صبره.. والقائد الروسي هزم
نابليون بالصبر..

ويرفض حامد منطقته نائرا:

- ولكننا لا نعرف متى ينتهي احتلالهم.. سنكون قد انفجرنا من الصبر والغضب
والحزن.. يا فالح سأذهب لأنقذ لبنى.. سأعترف بأنني كنت وراء كل ما حدث..
وأنها لا تعرف شيئا، فعلا أنا كنت أنقل الجثث.. فلماذا تتركها تلقى مصيرها
وحدها، إنها كانت تحارب من أجلنا جميعا..

- إصبر يا جوهري.. فالأخبار متضاربة.. في الإذاعات العالمية يقولون إن
الجيش الزاحفة للتحرير عبر الحدود.. قد أصبحت على مشارف الجهراء.

- ولكن أخبار بغداد تقول: إنهم ردوهم على أعقابهم، وأنهم دفنوا نصف
المهاجمين في الصحراء.. والنصف الآخر قد عادوا مدحورين إلى حفر الباطن..
فأيهما نصدق!!

- صدق عقلك يا أخي.. لقد جاءني أخبار منذ دقائق بأن جنود المحتل في
ارتباك، وجميع حافلاتهم وسياراتهم تتجه نحو الشمال

- ولكنهم في الأخبار منذ قليل يقولون: إنهم قبضوا على رعيمة المقاومة
ويتهكمون على رجال الكويت بأنهم يخفون خلف النساء..



ويضحك فالح الشويخ قائلا:

- دعهم يقولوا ما يشاءون.. فلن يضير الكويت أن تكون نساؤها بهذه الشجاعة.. لقد نجحت الكويت في تربية بناتها، فوقفن مع الرجال في صف واحد يدافعن عن ترابه.. وهذا لن يعيننا.. أليست هذه إذاعتهم وشهادتهم..

- ولكنني لا أستطيع الصبر، إنه سيقتلني يا فالح..

- قلت لك إن الأخبار متضاربة، وربما قد اقترب الفرج ونحن لا ندرى.. لا تسمع لأخبارهم.. فرما يكونون الآن في طريقهم لبغداد هارين، وقد يحدث هذا فجأة.. ولن يعلنوا هذا للمرة حتى لا يدفنهم الشعب هنا قبل فرارهم.. إنهم يفكرون لصالحهم.. ولهم منطقهم أيضا..

ويقول الجوهري في غيظ:

- إنك هادئ الأعصاب أكثر من اللازم.. ألا تسمع لأخبارهم..

- نادرا..

- لقد أذاعوا خبراً أزعجني أيضاً.. لقد قالوا إنهم قبضوا على شخص يدعي أنه فيصل الشنيان.. وعلقوا عليه قائلين: إن الخارجين على القانون بدأوا يفقدون عقولهم.. فقد لاقى مصرعه منذ عام تقريبا، وأكلته أسماك شط الخليج..

ثم يضيف في انزعاج:

- ألا تظن أنه ربما يكون هو فيصل.. وقد فعلها لينقذ لبنى.. أنا أعرفه إنه هو.. فهو برغم شجاعته ملاك يملك قلب طفل صغير.. وجرجور يفتك بأعداء الوطن.. وقد رأينا بطولته الخارقة..

ويقف فالح على قدميه وقد تغير وجهه وهو يردد:



- أحقا سمعت هذا الخبر!!

- كما أراك الآن .

ويدير فالح مفتاح المذياع وهو ينظر لساعته . . ويقول:

- ثوان ونسمع أخبار صوت الكويت في الخارج . . .

يعلن المذيع أن جيش الاحتلال يهرول هاربا من الكويت خوفا من وقوعه أسيرا في أيدي قوات التحرير . . فيقول فالح:

- حانت لنا فرصة ذهبية للعمل . . إذ لابد من من مهاجمة فلولهم . . واصطياد ما يمكن اصطياده منهم . . هذه فرصة ذهبية للانتقام . . .

ثم يواصل وهو يتسم لأول مرة من قلبه:

- اتركوا هذه العملية لي فسأنطلق لها مع قوات المقاومة الشعبية، أما أنت يا جوهرى، فابحث عن أوس والزعابي، والغنيم وعوني ومحمود ومعاوية، واذهبوا إلى أضيق نقطة تمر فيها قوات الاحتلال المنسحبة، وليكن في المطلاع، بعد أن تلبسوا ملابسهم العسكرية من رتبة الضباط، وأن تستعرضوا من بعيد القوات المنسحبة على الطريق، فلعلكم تعثرون على فيصل ولبنى إنها فرصة يجب ألا تضيع منا . .

- ولكن كيف نستخلصهما منهم؟!

ويقاطعه فالح قائلا:

- في حالات الانسحاب . . ليس هناك نظام . . ولن يسألك أحد عن هويتك فالكل هارب، ويريد أن ينجو بنفسه قبل أن يقع أسيرا، وحالات الارتباك هذه يتم فيها كل شيء، حتى السرقة والقتل، ولن يتوقف أحد ليتحقق أو يسأل . . هيا يا جوهرى تحرك، ولا تسأل كثيرا . . فيكفي أن توقف الجنود الذين يحرسونهما، وأن تقولوا لهم:



وقف هؤلاء وسلمهم لنا، فقد انتهت مهمتكم عند هذا الحد.. إنها عملية فدائية من نوع جديد وعملية بسيطة خضتم أشد منها ألف مرة، ولن أشرح لك أكثر من هذا فإن معك أساتذة في مثل هذه العمليات..

وينطلق الجوهري وفي أعقابه فالح الشويخ.. لقد كانا حزينين رغم أن الموقف يستدعي الفرح.. ولكن كيف تكون الكويت المحررة دون أبطالها الذين خاضوا طريق الكفاح، وتحملوا كل هذه الآلام والأهوال التي صادفتهم، لن يكون الأمر سهلاً عليهم، ستشوب حلاوة النصر هذه المرارة التي ستظل في حلوقهم دائماً.. حتى يعثروا عليهما أو تظل هذه المرارة إلى نهاية العمر. كانت هذه الأفكار ترواد فالح والجوهري بل كل من عمل في مجال المقاومة السرية، وعرف بلاءهما..

ومرت يوم بطوله والجوهري والمجموعة معه تستعرض كل المارين من فلول الجيش الفار ولكن لا أثر لفصيل أو لبنى.. حتى جاءهم رسول من فالح يطلب منهم العودة فوراً.. قبل أن تقتلهم قوات التحرير فقد يظنون أنهم من جيش الاحتلال، إنهم يلبسون ملابسهم..

وطلب منهم فالح فور عودتهم أن يذهبوا إلى ثانوية الشويخ عند الغروب ونظر في ساعته وقال:

- لم يبق سوى نصف ساعة وسنكون هناك جميعاً..
- دون فيصل ولبنى.. لن يكون هناك طعام لشيء عندي.. أما أنتم فلكم شأنكم..

ويقول فالح مزمجرأ:

ستظل الكويت وإن فقدت أعز أبنائها، فهي قادرة على الإنجاب، إنها ولود



معطاً . وبعد فلت لك اذهب أم ستخرج على أوامري . . فلأزلت صاحب الأمر والنهي حتى تستتب كل الأمور .

ويمضي حامد وزملاؤه، وهناك يجد جمعاً يتعانقون، وبينهم فيصل الثنيان . .

- أين أنت يا فيصل؟!

ويعانقه وهو يبكي قائلاً:

- ولكن أين لبني حبة القلب والعين . . أنا لا أصدق أنها ذهبت إلى الأبد . .

ويقول له فيصل وهو يعانقه مرة ثانية:

- انظر خلفك . .

- إنها هي . . بحلاوتها ورقتها وروعنها . .

ويقول فيصل ضاحكاً:

- دع هذا فيما بينكما أيها الشاعر الشجاع المحلق في دنيا الخيال . .

- ولكن أين كنتما . . لقد ظننا أنكما . .

- سأشرح لك الأمر فلا تتعجل، ولا تعكر صفونا الآن بذكرهم يازوجي

العزيز، وإذا أردت أن تعرف، فحب الاستطلاع لديك زائد عن الحد، فاسأل فالح، فقد

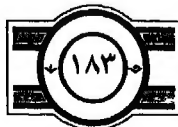
كدنا نهلك . ثلاثة أيام قضيناها بلا طعام أو شراب . . بعد حملة تعذيب بشعة . .

ويقول فالح:

- عندما قلت لك انطلق مع مجموعتك إلى الحدود . . انطلقت إلى سجون

الكويت واحداً واحداً . . لم أجدهما . . لم يبق أمامي إلا مكان واحد وكان احتمالاً

ضعيفاً وهو البحث في إدارة الاستخبارات، فربما يكونان هناك . . تركوهما مهرولين،



وقت أن جاءهم أمر الانسحاب وكان هذا الاحتمال الواهي . . هو الحقيقة . وجدتهما
محجوزين في غرفتين . . وقد فقدت لبنى الوعي تقريباً .

ويقول فيصل ضاحكا :

- دعنا من كل هذه الذكريات . . إنها فترة امتحنت صلابة الشعب الكويتي ،
وقد نجح في الامتحان . . وها نحن قد عدنا لنرى الشمس وهي تغرب أمام بوابة ثانوية
الشويخ على الخليج الخالد . . وستشرق غدا وإلى الأبد . .

(تمت)

القاهرة

أول أغسطس ١٩٩٥

٢٠٠٠/٧٤٠٤	رقم الإيداع
977-5758-62-9	الترقيم الدولي



هذا الكتاب

قد يرحل الإنسان عن المكان .. ويحزم أمتعته
ويعضى .. ولكن خيوطاً غير مرئية تظل تربطه به وبمن فيه ،
وتشده إليه وإليهم مدى العمر !!

فما بالك بغزو دون سبب .. وفى زمن أصبح لا يعترف
بهذا الأسلوب الهمجي .. ومن إخوة يأمن جانبهم !!

لقد كان هذا الغزو كارثة أصابت العالم العربي بالدهشة
والحيرة . والحزن بل وعدم الفهم وانعدام الوزن !!

فماذا تقول إذا صحوت من نومك فوجدت أخاك يرفع
السلاح في وجهك ليقتلك دون سبب سوى الطمع ؟!

أقول له : إنني أخوك .. إنه يعرف هذا ، أقول له : إن
هذا لا يجوز بين أخوين ؟!

لقد فقد الإحساس بهذه الصلة الأزلية عندما رفع السلاح
في وجهك ، ومزق قيمة أئمن من كنوز الدنيا بأسرها !!

الناشر